تجليات الخطاب الديني
في
الشعر العربي المعاصر

إعداد

الدكتور

ياسر عكاشة حامد

مدرس الأدب والنقد بكلية البنات الأزهرية
بالعاشر من رمضان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجليات الخطاب الديني
في الشعر العربي المعاصر

د/ ياسر عكاشة حامد
مدرس الأدب والنقد بكلية البنات الأزهرية
بالعاشر من رمضان

المقدمة

الحمد لله الذي بين للناس طرائق الهدى والضلال، وأكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، وأرسل إلينا نبيه هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

أما بعد

لقد كثر في عصرنا الحاضر تصاعد الأصوات الشعرية التي تؤمن إيمانا قويا بضرورة تواجدها بروحها الإسلامية المنبعثة من دينها لتواجه هذا الواقع المتردي للأمة، حيث كثرت الأصوات التي تنهش في جسد الأمة الإسلامية تخرب عقولها، محاولة محو هويتها الإسلامية برؤى مختلفة ما بين علمانية وحداثية، وغيرها بغية الاستيلاء على وجدان وفكر الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية.

ولهذا " تصاعدت هذه الأصوات بخطابها الشعري الإسلامي جنبا إلى جنب مع الأصوات الفكرية التي تحمل على عاتقها تجديد خطاب الأمة بكل تجلياته وأنماطه، حتى جاءت هذه الأصوات الأدبية بإبداعها المتنوع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنطلق من رؤى إسلامية صافية انبثقت من روافد الخطاب الإسلامي المتعدد جزءا رئيسيا من نسيج قومي واحد، يبحث ويناقش ويحاجج ويصدح من أجل البحث عن وضع صحيح للأمة " (١).

ومن خلال ذلك كانت تجليات الخطاب الديني في نتاج الكثير من الأدباء والشعراء المعاصرين، حين برزت الرؤية الإسلامية بشقها الأخلاقي في نتاجهم الأدبي، وكذلك بشقها الذي يجسد واقع الأمة الإسلامية وتطلعها نحو العودة إلى منزلتها التي كانت من الوحدة والريادة، كما برزت هذه التجليات الدينية في مشاركة هؤلاء الشعراء المعاصرين للأمة الإسلامية في همومها وأحزانها ومآسيها، والتغني بأمجادها بغية العزة والمجد والمواجهة والانتصار، وتجلي روحهم الدينية أمام الآخر بهجماته على الإسلام والمسلمين.

ومن هنا كانت دراسة " **تجليات الخطاب الديني في الشعر العربي المعاصر** " والتي تعد مدخلا لدراسات متنوعة حول الخطاب الديني في الشعر المعاصر، وهي تتكون من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الخطاب الديني المفهوم والمميزات.

الفصل الثاني: أبعاد الخطاب الديني في الشعر المعاصر..، وتكون من ثلاثة مباحث:

---

(١) الخطاب الإسلامي في الشعر العربي المعاصر قراءة نقدية في المصطلح والنص د/ على عبد الوهاب مطاوع ص٧ ط مطبعة مؤمن سنة ٢٠٠٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول: الخطاب الديني والرؤية الذاتية.

المبحث الثاني: استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر المعاصر.

المبحث الثالث: الخطاب الديني وهموم الأمة الإسلامية.

ثم كانت الخاتمة وثبت بقائمة المصادر والمراجع راجيا من الله التوفيق والسداد والله من وراء القصد والهادي لإلى سواء السبيل إنه نعم المـــولى ونعم النصير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

الخطاب الديني المفهوم والمميزات

أولا: مفهوم الخطاب الديني:

مما لاشك فيه أن الدعوة إلى الخطاب الديني جاءت في إطار الصحوة الإسلامية التي تشهدها معظم البلاد الإسلامية، وتتمثل هذه الصحوة في المناداة بإحياء الأدب الإسلامي بروحه وأخلاقه وتعاليمه محل ما ساد في المجتمعات من التردي والانحلال بل والتخلي من كل ما هو مسلم.

ولأننا نؤمن بدور الأدب وأنه مرآة المجتمع، ودور الأدباء الذين هم أصوات هذا المجتمع وضميره، والمعبرون عما يختلج فيه من شجون، ويتواثب فيه من آمال، فقد أصبح ضروريا أن يصدر عن المجتمعات الإسلامية والأدباء المسلمين ما يعبر عن آلامهم وآمالهم من خلال تجلي الخطاب الديني في نتاجهم المعاصر.

ونلاحظ أن " المجتمعات الإسلامية قد تعرضت على مدى القرنين الماضيين لموجة من الأدب الغربي الذي جرى استيراد معظمه دون أن تكون هناك حاجة ماسة إليه، ودون أن يكون هذا الأدب مستجيبا لضرورة، وغنما تم استيراده وتسويقه أحيانا في إطار السيطرة الثقافية التي حاول الغرب أن يفرضها على شعوب الأمة الإسلامية، وقد تفوق عليها من الناحية المادية وأحيانا أخرى بفعل أبناء هذه الشعوب الذين انخدعوا ببريق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإنتاج الأدبي في الغرب، دون أن يشعروا أن هذا الإنتاج لا يصور مجتمعهم ولا يشبع تطلعاته "[1].

ومن ثم وجدنا الكثير من أدبائنا يحاكون الأدب الغربي سواء في موضوعاته أو في صوره وأساليبه، فنشأ بالتدريج أدب عربي مشوه لا هو بالأدب الغربي الجيد ولا هو بالتعبير الحقيقي عن المجتمع العربي المسلم.

ثم كانت الصحوة الإسلامية لتوجه الأدباء إلى الطريق الصحيح، وتزيل عن أدبهم التشويه والتعمية والتدليس، وتوجههم إلى ضرورة إبراز الخطاب الديني في إنتاجهم الأدبي عامة والشعري على وجه الخصوص، حتى بات هذا الخطاب مسيطرا على جزء كبير من خارطة الوجدان الإسلامي في مختلف الأقطار الإسلامية.

وقبل أن نبرز تجليات الخطاب الديني في الشعر المعاصر يتعين علينا تحديد مفهوم الخطاب الديني حتى نسير في بحثنا برؤية واضحة.

مفهوم الخطاب:

للخطاب مفهومان، المفهوم الأول أصيلٌ، ثابتٌ، بسيطٌ غير مركب، عرفته العرب وورد في القرآن الكريم، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، وفي المعاجم اللغوية الأولى.

---

(١) مستقبل الأدب الإسلامي د/ حامد طاهر ص ١٢ ط نهضة مصر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما المفهوم الثاني، فإنه معاصر وذو طبيعة تركيبية يتعدّى بها الدّلالة اللغوية، إلى الدلالة الفلسفية، والدلالة السياسية، والدلالة الإعلامية، وتتوضح الفروق بين الدلالات حسب السياقات التي تُورد فيها.

أولاً: على مستوى المفهوم اللغوي:

جاء في لسان العرب، الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان. وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميّز بين الحكم وضده(١).

والخطاب كما ورد في كتاب الكليات، هو الكلام الذي يُقصد به الإفهام، إفهام من هو أهلٌ للفهم، والكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع، فإنه لا يسمى خطاباً (٢).

ثانياً: على مستوى المفهوم القرآني:

تَعدَّدَ في القرآن الكريم لفظ خَطْب تسع مرات، وورد بصيغة خطاب ثلاث مرات، في قوله تعالى {فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب} (٣)، وفي قوله تعالى {وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب} (٤)، كما وردت

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢/ ٨٥٦ ط دار الجيل، دار لسان العرب. بيروت ١٩٨٨م.

(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٤١٩ ط مؤسسة الرسالة بعناية د/ عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت ١٩٩٢م.

(٣) سورة ص آية ٢٣.

(٤) سورة ص آية ٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الصيغة في قول الله عزّ وجلّ {رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً} [1].

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم، خاطبهُ مخاطبةً وخطاباً: تكلم معه، والخطب: الشأن الذي تقع فيه المخاطبة [2].

ونلاحظ في سياق ورود لفظ (خطاب) في الآيات القرآنية الثلاث، أن الخطاب يُقرن دائماً بالعزة، وشدة البأس، وبالحكمة، وبالعظمة والجلال لله تبارك وتعالى. وهنا مجالٌ فسيحٌ للتأمل والاستبصار والتدارق في اكتناه المعنى العميق للفظ (خطاب)، مما يخرج به عن المفهوم اللغوي بحسبانه مراجعةً للكلام، أو الكلام الذي يقصد به الإفهام، ويرتقي به إلى مستوى أرفع شديد اللصوق بمعاني سامية تتفاوتُ بين العزة {وعزني في الخطاب}، والحكمة {وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب}، والعظمة الربانية والجلال الإلاهي {رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً}.

ويتلاقى المفهومان اللغوي والقرآني، في التأكيد على الدلالة السامية للخطاب، على اعتبار أن (فصل الخطاب) لا يتم على الوجه الأفضل، إلاّ إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق.

---

(١) سورة النبأ آية ٣٧.

(٢) معجم ألفاظ القرآن مجلد ٢ ط مجمع اللغة العربية، والهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. القاهرة ١٩٦٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد توسع المفسرون في بيان معنى الخطاب ليشمل الكلام البين الواضح، وكذلك الكلام الذي يدور حول الحجاج والمجادلة

ثالثاً: على مستوى المفاهيم الحديثة:

الخطاب اصطلاح فلسفي، يقارب في الدلالة المقولةَ الفلسفية؛ فالخطاب الفلسفي لفلان، هو منهاجه في التفكير والتصوّر وفي التعبير عن أفكاره وتصوراته، وهذا الخطاب يَتَعَارَضُ أو يَتَوَافَقُ مع الخطاب الفلسفي لعلان.

ودخل هذا المفهوم في الفكر السياسي المعاصر، فصار الخطاب السياسي، منطوياً على الحمولة الفكرية والمضمون الإيديولوجي، مما يجعل الخطاب السياسي لهذه الجماعة معبراً عن عقيدتها السياسية واختياراتها المذهبية، فالخطاب في هذا المقام ليس مجرد أسلوب للتبليغ، وطريقة للتعبير عن الرأي والموقف، ولكنه الوعاء المعبّر عن الروح والعقيدة والفلسفة والمذهب.

وينطبق هذا المفهوم أيضاً، على الخطاب الثقافي، والخطاب الأدبي، والخطاب الفني، والخطاب الإعلامي، وإن كان الخطاب الإعلامي أكثر استيعاباً للمضامين الواسعة، بحيث يمكن أن يستوعب المستويات الخطابية جميعاً، فيكون الخطاب الإعلامي الديني، والخطاب الإعلامي الفلسفي، والخطاب الإعلامي السياسي... إلخ.

وإلى هذا المعنى تنصرف الأذهان عند الحديث عن الخطاب الإسلامي، باعتبار أنّ المقصود هو الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون العالم،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها إلى القطاع الأوسع من الرأي العام العالمي.

وبناءً على ذلك، فإننا نستطيع أن نقول إنّ الخطاب الإسلامي هو الإطار الأوسع للدعوة الإسلامية بالمفهوم العميق والشامل.

ومن هنا يتبين أن الخطاب الديني هو " أشرف خطاب يتبادله الناس فيما بينهم لأنه خطاب الأنبياء والرسل الكرام مع أقوامهم في مختلف الأزمنة والأمكنة، ولأنه أيضا خطاب المصلحين مع غيرهم ن ولأنه خطاب العقلاء الأخيار فيما بينهم "[1].

ونحن إذ نخوض في هذا المجال لبيان رسالة الإسلام للناس، وقدرته على استيعاب أحداث الحياة بما في الدين من شمولية مع القناعة التامة بأهمية الدين للحياة.

كما أنه بدراسة هذا الجانب في تجارب الشعراء المعاصرين تنبيه للعقلية المسلمة أن تمعن النظر في قراءتها للنص ن وأن تتعمق في فهم الواقع المحيط بما فيه من أحداث ووقائع تمتاح من مضامين الدين وآفاقه الرحبة، واستدعاء الخطاب الديني إلى دنيا الناس عن طريق التجارب الشعرية تأكيد واضح على استمرار دور الشعر في بيان منهجية الإسلام

---

(١) تجديد الخطاب الديني رؤى إعلامية مجموعة من الكتاب ص ٧ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سلسلة قضايا إسلامية العدد ١٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعقيدته وشموليته، وأنه قادر على تجديد حياة الناس ومواكبته لمستجدات حياتهم.

وهذا الدور القائم على تجلي الخطاب الديني لدى طائفة من الشعراء المعاصرين دليل واضح ورد أكيد على آفة التفكير المادي المعاصر، حيث " إن آفة التفكير المادي المعاصر تتحصل في نفي الدين بصفة عامة، والإسلام بصفة خاصة عن تسيير شئون الناس،وحصره في نصوص جامدة لا تعالج واقعا، ولا تقدم حلولا لمشاكل الناس وهمومهم " (١).

وفي إبراز تجليات الخطاب الديني من خلال تجارب الشعراء المعاصرين تأكيد على قدرة حق الإسلام في تمثيل قضايا الناس والتعبير عنها باعتباره جاء لسعادة البشر في دينهم ودنياهم، وفي أحوالهم الخاصة وشئونهم العامة، كما يعبر عن أحاسيسهم الوجدانية ومعتقداتهم الداخلية، وإبراز علاقاتهم المختلفة سواء مع الله تعالى أو مع الناس، فهو دين ينظم المجتمعات وينظم كافة العلاقات، فغايته الإصلاح بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٢).

فتجليات الخطاب الديني في الشعر المعاصر يعني ظهور الدين بصورة واضحة بتعاليمه ورؤيته للكون والحياة في الشعر المعاصر مع استحداث

---

(١) تجديد الخطاب الديني رؤى إعلامية ص ٤.

(٢) سورة هود آية ٨٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لغة مناسبة، وتجربة موائمة للعصر وضروراته يقدم بها الشاعر رؤيته الدينية إلى الناس في الداخل والخارج ليحقق المتعة والتفاهم والتعايش والوعي بما في الدين الإسلامي من قيم وتعاليم سامية ترقى بمستوى معيشة الناس وترضي الله سبحانه وتعالى.

فالشعر المعاصر ليس مجرد نصوص أدبية أو تجارب شخصية أو ترانيم يسوقها الشعراء للمتعة والجذب فقط، بل إنه قبل ذلك طاقة وإبداع تمتاح من الدين للمساهمة في نظام اجتماعي يقوم على مقومات عديدة منها ما أشرنا إليه سابقا من الإمتاع والجذب بالإضافة إلى بناء الوازع الديني في الفرد ليكون دافعا إلى العمل الصالح والقيم النبيلة.

ثانيا: مميزات الخطاب الإسلامي في الشعر المعاصر

مما لاشك فيه أن التدين عام في جميع الأجناس والبيئات والأزمنة، يقوى وينمو، ويزدهر في فترات ويخبو مصابا بالوهن والضعف في فترات أخرى، بسبب ما يعتري الإنسانية من تدن في الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية، غير أنه لا ينعدم أبدا، ولذا كانت حكمة الله تعالى في إرسال الرسل على فترت كلما ابتعد الناس عن الدين.

ولا عجب " أن يكون الدين هو أحد العوامل المؤثرة في الأدب، وأن يظهر تأثير الإسلام واضحا في أدب كل العصور الإسلامية، وأن تشتد الدعوة إلى التأثر بقيم الإسلام وآدابه، وأن تزيد هذه الدعوة مع اشتداد الكوارث والمحن والصراعات الدنيئة بين المسلم وأخيه المسلم، وأن يحاول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسلمون الوقوف بالمرصاد لحركات التغريب والغزو الفكري بالحث على إحياء الأدب الإسلامي، وبعث الأخلاق الإسلامية، وتقنين هذه الدعوة على أسس وركائز إسلامية " (١).

ولقد بدأت تجليات الشعر الإسلامي مرتبطة بظهور الدعوة الإسلامية مع نبينا(ﷺ) حين شمر شعراء المسلمين عن سواعدهم للذب عن الدين الجديد، ومجابهة شعراء قريش وهجاء المشركين ومدح النبي(ﷺ).

ولم يكتف شعراء المسلمين بتسجيل الغزوات، ونشر الإسلام والحديث عن سيرة النبي(ﷺ) بل رافق الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا، حيث أخذ " يزيح عن وجهه نقاب الحياء والخفر الذي كان قد انشح به أيام النبي، وينهض كاشفا القناع مشدود القامة مفتول الساعدين جزلا مدويا، ينتصر الفرسان في الحرب على صهوات الخيل فيسجلون انتصاراتهم في كثير من الزهو والفخر اللذين كانا قد احتجبا بعض الوقت أيام الرسول " (٢).

وفي العصر الحديث برزت قيمة الخطاب الديني في الشعر الحديث والمعاصر في وقوفه في وجه الاستعمار الذي استهدف ثروات الشعوب الإسلامية، وطمس معالمها الحضارية، والقضاء على هويتها الدينية،

---

(١) قضايا وآراء حول الأدب الإسلامي د/ مهجة محمد كامل درويش ص ٦ بدون طبعة.

(٢) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية د/ مصطفى الشكعة ص ١٠٥ كتاب الشعر دار الكتاب اللبناني ط١ ١٩٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتفريق أبنائها وتشتيتهم بعد تقسيم هذا الوطن الكبير إلى دويلات وإمارات، والقضاء على الخلافة الإسلامية في تركيا.

ولم يتصد الشعر الإسلامي للاستعمار فقط بل واجه ظاهرة التغريب أيضا، وبرزت تجليات الخطاب الديني وقيمته في التصدي لحركات التغريب التي ظهرت في حياتنا المعاصرة كسلاح من الأسلحة التي سعى إليها الغزو الغربي للتأثير في الشخصية الإسلامية بإبعادها عن الأصالة، حيث أن التغريب والأصالة ضدان لا يتقابلان أبدا، " فالتغريب في الفكر والأدب في الطرف المقابل للأصالة، إنه تنازل الإنسان المسلم كليا أو جزئيا عن فكر أمته وقيمها الأصيلة، ونظرتها المتميزة إلى الوجود، واستمداده من فكر الغرب ونظرته في الحياة وقيمتها من خلال الاعتزاز أو التبني لوجهات نظره في الحياة ن فلا يبدو النتاج الفكري أو الأدبي نسخة أصيلة من فكر الإنسان المسلم وأدبه ن وإنما ترجمة جزئية أو كلية للأفكار والتجارب الغربية عن تصور أمته ونظرتها إلى الوجود " (١).

ولقد عبر الشعراء المسلمون عن ضيقهم وتبرمهم من هذا التغريب الذي ملأ حياتنا، وسيطر على عقول شبابنا مما أبعد أفراد الأمة عن وحدتها وقوتها، فهذا الشاعر محمد المجذوب يعبر عن ذلك قائلا:

---

(١) الإنسان في الأدب الإسلامي ص ٧٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طال التغرب أمة الإسلام عن شرع الكتاب ونهجه الوضاح
متمزقين مشتتين كأننا في الشرق أو في الغرب لحم
متفرقين صباحنا لتشاحن ومساؤنا لتنابز وتلاحى
هبوا افتحوا بكتاب ربكم الدنا أو تفتحون بغير ما مفتاح
فلعل منكم من يعيد لنا الحمى ويعيد للأذهان ذكر صلاح[1]

وكذلك تبرز قيمة الخطاب الديني في ريادة الناس وقيادتهم نحو الصراط المستقيم، والتغيير والهداية، وإخراج الناس من غياهب الظلمات إلى النور، والإرشاد والوعظ والمناجاة، والتعبير عن التجارب الوجدانية الذاتية والموضوعية.

ومن هنا كانت تجليات الخطاب الدينى وقيمته في بيان مزايا الدين، وأثر التدين في الفرد والمجتمع على السواء، وقد تحدث كثير من شعراء العصر الحديث عن ذلك، ومنه ماجاء على لسان الشاعر محمد عبد الغني حسن في قصيدته (روح الإسلام) التي استهلها بقوله:

يا شعر حدث شباب النيل وقص من ذكراك العالى لهم
واجمع على الدين والأخلاق فقد تفرق هذا العقد وانتثرا

وفي القصيدة نفسها يقول مخاطبا الشباب:

---

(١) المرجع السابق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هلا تعيدون للإسلام دولته وللعروبة ما ولى وما غبرا
لا تحسبوا الدين ألفاظا ولا التدين أوهاما أو

ثم يقول:

يا مرسل الدين قد أرسلته وصغته رحمة بالناس أو عبرا
ألفت منه سبيل العدل وجئته داعيا للحق فابتدرا
بعثت بالسيد الهادي رسالته نورا على الأرض يمحو الخوف
ويملأ الأرض من صافى صفوا كما امتلأت من قبله كدرا

ونجد الشاعر محمود جبر يشيد بمزايا الإسلام وفضل القرآن منددا بأوربا ومبادئها الجائرة، فيقول:

يا معجز الفصحاء والحكماء علماء وفقت النيرات

كما تبرز أيضا قيمة الشعر الإسلامي المعاصر في الالتزام، والصدق الفني والعقدي، والإنسانية والوعي بالمهمة المنوطة بها وتحمل الشاعر لمسئولية التغيير.

ولذا وجب أن يكون للشاعر الإسلامي رؤية للكون والإنسان نابعة من معتقده الديني وتصوره الإسلامي، إذ " إن الأدب لابد أن يستند إلى معتقد، وأن يصدر عن تصور يكون خلف التعبير، وقد أدى الارتباط الخطأ وفساد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التصور على زيادة قلق الإنسان وزيادة آلامه المضنية ن فإذا أحسنا ربطه بالعقيدة الإسلامية صححنا مساره ن وهيأنا له فرص لإبداع عظيمة " (١).

ولذلك فإن الشاعر حين يتمثل العقيدة الإسلامية ويتشربها في شعره وسلوكه يرتبط بالحياة ليشارك الأمة في تحقيق أهدافها الإيمانية الثابتة، وليساهم في عمارة الأرض، وبناء حضارة إيمانية ظاهرة، وحياة إنسانية طاهرة قوامها الدين الإسلامي.

ومن هنا اشترط النقاد الإسلاميون أن يكون الأديب المسلم ــ والشاعر على وجه الخصوص ــ متمثلا لخصائص الأدب الإسلامي موضوعا وعقيدة وفنا وسلوكا، " فالشاعر الإسلامي هو ذلك الشاعر الذي ينطق معظم شعره بالعاطفة الإسلامية، ويعالج في قسم من قصائده مشاكل الإسلام وقضاياه، على ألا يكون في سائر شعره ما يخالف عقيدة الإسلام، أو يناقض مواقفه الإسلامية الصادقة في قصائده الأخرى، إذا هو الشاعر الذي يحي الإسلام بكل معانيه في جميع مجالات الحياة ويلتزم ذلك كله في شعره " (٢).

---

(١) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي د/ عبد الباسط بدر ص ٤٦ ط دار المنارة جدة ط ١ ١٩٨٦.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث أحمد عبد اللطيف الجدع، وحسين أدهم جرار ٩/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هنا تبرز قيمة الخطاب الديني في الشعر المعاصر حين يدرك الشاعر المسلم قيمة القيم الفاضلة، ويحاول غرسها في نفس المسلم، وينير حياته بالمثل العليا، وهذا ما عبر عنه الشاعر محمد مفلح في قوله:

أنا منذ أطلقت العنان لأحرفي

وبدأت أطلق بالقلمْ

أدركت أن الدرب مذأبة

وأن الحروف مسغبة

وأني إن أمت... سأموت من أجل القيمْ

ولأجل هذا صنفت فيّ الشكوك... ووزعت فيّ التهم [1]

---

(١) مجلة الأدب الإسلامي مقال (من عيون الأدب الإسلامي – دراسة في شعر محمد مفلح) د/ محمد علي الهاشمي، السنة ٢، العدد ٦، شوال ١٤١٥هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

أبعاد الخطاب الديني في الشعر المعاصر

إن المتصفح للشعر الإسلامي قديما وحديثا يلمس فيه القوة والوضوح في المبنى والمعنى، كما يجد ه يواكب مراحل الفتوحات والحرب والجهاد، وحمل الشعراء على عواتقهم عبء الدعوة ومقاومة المحتلين وتوحيد الجهود المشتتة

ومن هنا وجدنا الشعراء الإسلاميين يخوضون في مختلف الأغراض الشعرية رافعين أصواتهم بالدعوة لإلى الله تعالى، فكان شعرهم قذائف حق تطيح بالأعداء، ودعوة ناصعة تبلغ للناس على مختلف مستوياتهم وثقافاتهم، وكان شعرهم صادرا عن عاطفة جياشة ونفس مؤمنة ودافع إيماني في التعبير عن الأغراض المختلفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

الخطاب الديني والرؤية الذاتية

تعد الرؤية الذاتية واحدة من أهم الفضاءات الشعرية التي عبر عنها الشاعر الإسلامي في تناوله للخطاب الديني في شعره، ولعلها تمثل المرتكز الضوئي في معظم خطاباته الشعرية، إذ يستطيع القارئ والناقد أن يدرك ذلك من خلال الرؤى الشعرية المتعددة سواء الوطنية أو السياسية أو الاجتماعية أو الرؤى التي تعبر عن هموم الأمة الإسلامية.

وإذا كانت مهمة الناقد هي إضاءة النص للمتلقي، والغوص في أعماق التراث، فإننا ندعي بأن هذه الذات التي عبر عنها الشاعر الإسلامي في خطابه كانت متداخلة في كل القضايا التي طرحها الشاعر الإسلامي، وعلى الرغم من سياج الحزن الذي كان يغلف هذه الذات ن إلا أننا نرى أن هذا الحزن كان سمة ظاهرة في الخطاب الديني في الشعر المعاصر، وهو حزن إيجابي نلاحظه في القهر النفسي النابع من ذات الشاعر المسلم الحريص على رصد التجليات، والدعوة إلى الانعتاق من الفاسد والضلال

فالحزن الذي نلمسه في ذات الشاعر المسلم في خطابه الديني في الشعر المعاصر لا يطارد الذات ولا يقهرها، وإنما يعينها ويدفعها إلى الثورة والتعبير والمواجهة، والتحدي والدعوة إلى الإصلاح من خلال إبراز قيم الدعوة الإسلامية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالرؤية الذاتية التي نعنيها ليست الحلول في الذات والغوص في أعماقها، والابتعاد بها عن الواقع وقضاياه، وإنما نعني بها التعبير عن كل ما ينتمي إلى الشخص أو ما ينتمي الشخص إليه، وهذه الذاتية أو الانتماء تشكل كل مكونات التراث الإسلامي، وكل ما يتصل بذات الشاعر المسلم من حيث العقيدة والرسول (ص) والقرآن الكريم والصحابة والالخلفاء الراشدين والتاريخ بما فيه من أمنيات وآمال وجراحات وهموم، وقضايا يعبر عنها الشاعر الإسلامي من خلال تصوره وما استقر في وجدانه.

ولابد للشاعر حين يعبر عن ذاته ورؤاه أن يكون واعيا بهذه الذات والرؤى، فنرى في خطابه الديني بصيرة أكثر نفاذا، ونحس بعواطف أشد انفعالا، فالذاتية الإسلامية بهذه الصورة " أشبه بلحظات التنوير والإشراق التي تعتري النفوس حين تتوله بحب الله، فترى بنوره وتتجرد عن كل ما يشغلها عن عالمه العلوي المنزه، إنها (القدَّاحة) تبعث الشرارة فتلهب الشاعر أو الأديب المسلم، وهي النهر المتدفق الي تتدفق معه موهبته وفنه"[1].

---

(١) فلسفة الأدب والفن كمال عيد ص ١٢٤ ط الدار المصرية العربية طرابلس الغرب ١٩٧٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونلاحظ هذا الوعي بذاتية الشاعر الإسلامي، وانتمائه العميق إلى الإسلام وإحساسه المعبر عن خلجات نفسية تعتريه في لحظة الإبداع الفني عند أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته (نهج البردة) [1] التي مطلعها:

ريم على القاع بين اللبان أحل سفك دمى فى الأشهر

ثم يقف في وصف الرسول منشدا:

محمد صفوة الباري وبغية الله من خلق ومن نسم
سناؤه وسناء الشمس طالعة فالمجرم فى فلك والضوء فى

ثم يؤكد الشاعرؤ محبة الرسول التي شاعت بين البرية فيقول:

محبة لرسول الله أشربها قعائد الدير والرهبان فى

وينتقل الشاعر في قصيدته إلى من مدحوا النبي لوجيه الكريم، فيذكر منهم الإمام البوصيري صاحب البردة فيقول:

المادحون وأرباب الهوى تبع لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم
مديحه فيك حب خالص وهوى فصادق الحب يملى صادق الكلم
الله يشهد أن لا أعارضه من ذا يعارض صوب العارض

---

(١) ديوان الشوقيات لأحمد شوقي ١/١٩٠ط دار العودة بيروت.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والقصيدة طويلة تبرهن على براعة منشدها وأن هذا الإنشاد يبتغي فيه الشاعر وجه الله الكريم وليس من ورائه رغبة في شهرة أو منفعة دنيوية، وإنما هو انتماء للإسلام بأكمله، فهو تعبير عما يحس به الشاعر من تجربة صادقة نابعة من أحاسيسه، وشعوره، ووظف الشعر فيها كل ما يملك من مهارات فنية وإبداعية.

وتبرز الرؤية الذاتية في نتاج الشعراء المعاصرين حين نراهم يعبرون عن عاطفتهم وإحساسهم تجاه خالقهم عز وجل، وما يجيش في خواطرهم من إحساس بعظمة الخالق وقدرته، وكذلك الاعتزاز بالانتماء للإسلام.

فهذا هو الشاعر محمد التهامي يعبر عن ذلك في قصيدته (دعائي في ليلة القدر) التي يقول في مطلعها:

بكل الشوق فى قلبى طرقت الباب يا ربى
وفى شفتىَّ ضراعاتٌ لقلب ذاب فى جنبى
دعاءٌ فى تألقه ضياءٌ غير ذي لَهَب
يسيل الطُهر فى ليغسل صدقَه ذنبى
وحسبى أنَّك الرحمن فى رضوانه حسبى
تجيب ضراعة عند المَوقِف

---

(١) ديوان يا إلهى للشاعر محمد التهامي ص٧ ط مطابع دار البشير عمان ١٩٩٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك يعبر الشاعر عن اعتزازه بكل مباديء الإسلام وأركانه، ويرى أنها لم تفرض على المسلمين عبثا، وإنما فرضت عليهم لأمور عظيمة، ولحكم جليلة، ولذا نراه يتحدث عن الصوم وعظمته وحكمته، وآثاره في نفوس المسلمين، ويبين أنه طوق نجاة العاصي، وطريقه إلى جنات الفردوس، ومعراجه إلى الهدى، وبه تسمو النفس فوق مهالك الشهوات، فيقول في قصيدة في (نور الصيام)[1]:

الصوم للحيران طوق وطريقه الهادي إلى
وعليه معراج اليقين إلى يمتدُ فوق مهالك الشهوات
ويطهر الإنسان حتى إنه روحٌ يكاد يضيء في

ونلاحظ أن الشاعر جعل الصوم مرانا للقدرة الإنسانية على ملاقاة الشدائد، ولقوة الإرادة على قهر النفس، وكبح جماح الشهوات المادية الزائفة.

وتتبع تجربة الشاعر الذاتية في صلاته من صفاء قلبه، ونقاء سريرته، وخشوعه فيها، وصدقه في دعواته، وشوقه إلى فيض رحمات ربه، فالصلاة أقوال، ودعاء صدق يفتح أبواب السماء الموصدة، وتضيء كل حقبة في حياة الإنسان، فيقول:- [الكامل]

---

(١) المرجع السابق ص ١٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لما قصدتك ضارع الصلوات وصدقت يا رباه فى دعواتى
وصفا فؤادي واستبد بخاطري شوق إلى فيض من الرحمات
وعبرت كل شوائبى وتلهفت للنور فى غسق الدجى
فإذا دعاء الصدق يفتح موصدا ويطوف بالأنوار فى العتبات
وإذا بفضلك يا كريم يعمنى ويضىء كل خفية بحياتى

ويفضي الشاعر إلى قيم الصلاة الروحية، فهي سبيل الرشـــاد، تهـــدي العبد، وتقوده إلى الخير والبركات، وتجنبه مـــواطن الـــضعف والمهانـــة وتصونه من نزوات الدنيا وشهواتها الحيوانية الفانية، يقول:-

علمتنى سر الحياة وقدتنى للخير والتوفيق والبركات
ألهمتنى سبل الرشاد ضلت على درب الهوى
جنبتنى الذلل الكبير من شهوة الدنيا ومن نزواتى

ويعرض التهامي أوقات صلاته، فبها يستقبل نهاره، ويتوسطه مرتين، ثم يختمه ويستقبل الليل بالوقوف بين يدي خالقه، إضافة إلى نوافل الصلاة من تهجد وضحى وصلوات شكر.. إلخ، يقول:-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألقاك في الليل البهيم وفي ألقاك في صحوي وفي
ألقاك في الحق المجلجل في في زحمة الدنيا وفي خلواتي
ألقاك في السراء عند ألقاك في البأساء والويلات
ألقاك في شكر يضيء ألقاك في صبري على
ألقاك من حولي وبين في بسمتي تأتي وفي عبراتي
فلأنت في خيري تزيد دعاته ولأنت في شري تذود
ولأنت في قلبي وملء وخواطري ومشاعري

ويلاحظ أن الشاعر في أوقات صلاته وفي زحمة الدنيا بسرائها وضرائها يستهدي الله في عمله، ويؤدي إليه الحساب عن هذا العمل من ساعة اليقظة إلى الساعة التي يستسلم فيها للرقاد، أو ينطوي فيها تحت جنح الظلام.

وتبدو هذه الرؤية الذاتية واضحة في تضرع الشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين حين يذرف الدمع اعترافا بذنبه ومتضرعا إلى الله تعالى راجيا أن يغفر له فيقول في قصيدة (يا خالقي):

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة - المجلد الثاني - للشاعر محمد التهامي ص٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتغسلُ كل أخطائي الدموع ويمحوها التبتل
إذا ما الليل فاض على وغاصت في دياجيه
ولفَّ الصمتُ حولي كل وغشَّى أعين الناس
مددتُ لإليك يا ربَّاه كفا يهدهدها التضرع
ويبتهل اللسان إليك جهرا وأومن أنك البرُّ السميع
أتحرقني بنارك يا إلهي وإني صنع قدرتك
أيعظم يا رحيم لديك ذنب وعفوك بحره جمٌّ وسيع
فمن بالعفو والغفران إذا ما فاز بالخلد

وهذا الشاعر " عمر بهاء الدين الأميري " [٢] يعبر عن ذاته حين يسجد لربه، ويتخذ من صلاته سبحات روحية تصل به إلى عوالم السماء، ومصادر الإشعاعات السماوية في غمرات من الفكر الساجي العميق،

---

(١) ديوان أعاصير وأسام للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين ص٩٨،٩٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

(٢) عمر بهاء الدين الأميري شاعر سوري، ولد بحلب لأسرة متدينة تخرج في كلية الحقوق بسوريا، ودرس الأدب واللغة في جامعة السربون، وقد اشترك في جيش الإنقاذ للدفاع عن القدس ١٩٤٨م، عمل سفيراً لبلاده في بعض دول العالم، وقد درس الحضارة الإسلامية في كلية الأداب بجامعة محمد الخامس في مدينة فاس، ثم عين أستاذا لكرسي الإسلام والتيارات المعاصرة في دار الحديث الحسنية بالرباط جامعة القرويين، ومن أهم دواوينه مع الله – ط – ١٩٥٩م، ألوان الطيف، من وحي فلسطين... وغيرها. للمزيد يراجع شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ج٢ ص٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتمتزج فطرته بالمنهل الإيماني المقدس، ويترك كونـــه المعهـــود بطينـــه ومادته وزيفه إلى دنيا السكينة وصفاء النفس فيقول:- [الخفيف]

أي سر يودي بدنيا حدودي كلما همت فى تجلى
كيف تذرو سبحان ربى كيف تجتاز بى وراء
كيف تسمو بفطرتى عن مفاهيم كونى المعهود
كيف ترقى بطينتى وجمودي فى سماوات عالم من خلود
أتراها روحاً من المعبود قد جلت ذاتها لعين

ويواصل خضوعه وخشوعه في صلاته، فيخر كيانه ســـاجداً واجـــداً لعظمة الله، فيقول في قصيدته " صلاة ": [الخفيف]

كلما أمعن الدجـــى وتحـــالك شمت فى غوره الرهيب جلالك
وتراءت لعين قلبى برايا من جمال آنست فيها جمالك
وترامى لمسمع الروح همس من شفاه النجوم يتلو الثنـــا لك

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث تأليف أحمد عبد اللطيف الجدع - حسني أدهم جزار الجزء الثاني ص١٥ - ط- الخامسة مؤسسة الرســـالة - بيـــروت - ١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واعترانى تولـه وخشوع واحتوانى الشعور أنى حيالك
ما تمالكت أن بخـر كيـانى ساجداً واجداً، ومن يتمالك[1]

وللاحظ أن الشاعر الإسلامي كان دائم التشبث بالإيمان والتوحيد والتغني بالذات الربانية: عشقا وتوحيدا وملاذا، وعبر عن ذلك في نصوص وجدانية تتخذ من المناسبات الدينية كالمديح النبوي والإسراء والمعراج والصيام وغيرها حافزا كبيرا للتعبير عن عواطفهم المتقدة تجاه خالقهم وربهم، والرد على أنصار التشكيك والتبشير، وفي هذا يقول محمد علي الرباوي حامدا ربه، مستعطفا إياه، طالبا منه التوبة والغفران:

هل أقدر أن أعبر هذه الدغال الفتاكة

إن علي أنت تخليت؟

لمذا يا مولاي خلقت هلوعا

إن مس جنان المحل جزوعا

أو مس جناني الوبل جزوعا

أدركني

من وسواس الخناس وعلمني

أن أملأ دنياي بحمدك

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ص١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لك الحمد إذ تعطي

لك الحمد إذ تمنع

أنا عبدك العاصي

فما شئت بي فاصنع

لك الحمد إذ تغضب

ولكنني والذنب يزهر في قلبي

أمد دموعي نحو عرشك مدا إذ

أنا عبدك الملحاح في عفوك المنشور

كالنور يا مولاي ها إنني أطمع [1].

وقد برز الإحساس الذاتي بوضوح حين عبر الخطاب الديني في الشعر المعاصر عن تجربة الاغتراب الذاتي والمكاني التي يعيشها الشاعر الإسلامي أينما حل وارتحل، نتيجة للمعاناة التي تنتابه بسبب التمزق الحضاري والانسلاخ الديني، وابتعاد الأمة العربية والإسلامية عن الدين الإسلامي، والجري وراء التواكل والتقاعس والخنوع، وفي هذا يقول الشاعر الدكتور صابر عبد الدايم:

---

(١) الأدب الإسلامي أصوله وسماته د/ محمد حسن بريغش ص١٤١، ١٤٢ ط دار البشير عمان ط١ ١٩٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معلق بين تاريخي وأحلامي ... وواقعي خنجر في صدر

أخطو فيرتد خطوي دون ... وما بأفقي سوى انقاض

تناثرت في شعاب الحلم ... وفي دمائي نمت أشجار

مدائن الفجر لم تفتح لقافلتي ... والخيل.. والليل..والبيداء

والسيف والرمح في كفي من ... لكنني لم أغادر وقع أقدامي

وتحتمي باستواء الريح ... والموج يقذفني أشلاء

ويستمر الخطاب الديني في إبراز معاناة الشاعر الإسلامي من الأحزان والهموم التي تعتصر قلبه وفؤاده بسبب انهيار الأمة الإسلامية وضياع هيبتها وانهيار قيمها، هذه المعاناة التي تبلورت من الإحساس بالظلم والاغتراب بكل أنواعه وتكالب الاستعمار على هذ الأمة مما جعل الشاعر الإسلامي حسن الأمراني يظهر أوجاعه الدفينة، وجروحه الكلمى، ويصور معاناته اليائسة حين يقول:

لن تقدر حزني

ولن تحتملي بعض همومي

بعض ما يضيق الصدر عنه من أشجان

فعالمي قام على بركان

---

(١) ديوان مدائن الفجر د/ صابر عبد الدايم إصدار رابطة الأدب الإسلامية العالمية ص عام ١٩٩٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا شيء غير الموت يا إنسان

الموت في دمشق

في بيروت

في عمان الموت في كابول، في طهران

الموت في بغداد

في وجدة

في أسيوط

في تونس

في وهران[1]

وتشتعل نفسه بالحزن والأسى حين يعبر عن غربته ومعاناته الروحية والذاتية فيقول في القصيدة نفسها:

تغربت

فأدركني عصفور الحب الوردي

تذكرت وصاياك العشر

بكيت على زمن لم أدخل فيه إليك

---

(١) مجلة الأمة. العدد ٦٢ صفر ١٤٠٦هـ ص ١٦. (كاملية إلى المستضعفين في الأرض) حسن الأمراني.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم أمسح ظهر جبيني

في أعقابك

كان الخوف يساكنني

والقلق الأخرس

والديدان الأخرى

وانفرطت حبات الكلمات [1]

ولقد سيطرت على أحاسيس الشاعر الإسلامي المعاصر وذاته حالة من القلق والهروب من الحضارة الحديثة على الرغم مما أسدته للبشرية من تقدم علمي مبهر، وما قدمته من تطورات اجتماعية كبيرة.

فالحضارة جعلت الإنسان " كائنا نهما يرمق الرفاهية في شغف بعد أن كان يلهث إثر الكفاف، ومع هذا كله عجزت أن تمنحه أمنا، وشُحن الإنسان بأثر من إشعاعاتها بموجات من القلق، وتعمقت في مشاعره وجدانات الغربة، بل استفزت فيه محاولات الهروب من لفح برحائها "[2].

---

(١) مجلة الأمة. العدد ٦٢ صفر ١٤٠٦هـ ص ١٩،٢٠. (كاملية إلى المستضعفين في الأرض) حسن الأمراني.

(٢) دراسات في الشعر الإسلامي المعاصر د/ ياسر صفوت حشيش ص ٨٧ ط زرقاء اليمامة بالفيوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد عبر الشاعر محمد الحسناوي[1] عن إنسان العصر الضائع في متاهات الدروب، الطامع في الهروب من الحضارة الزائفة فيقول:

أجِدُ ضياعا يلف ويحجبني عن بصيص
أجِدُ دمارًا وراء ينك الجبال ويطوي
وكمحه كالصليب يُطوّح بالناس أنّى

وتبرز هذه الحالة من القلق والهروب عند الشاعر صالح آدم بيلو[2] حين ينظر بعينيه فلا يجد إلا عالما من الأحلام غامض، وتسبح عيناه في خيالات مفزعة حيث تغيرت الرسوم وانسلخت الأشياء عن حقيقتها فيقول:

---

(١) شاعر وأديب سوري، ولد في بلدة جسر الشغور التابعة لمحافظة " إدلب " سنة ١٩٣٨م، له كتابات قصصية وأخرى نقدية، من دواوينه المطبوعة: ربيع الوحدة، وفي عيلة الحب، وعودة الغائب، وملحمة النور. راجع شعراء الدعوة الإسلامية ٤/٤٨.

(٢) ديوان عودة الغائب لمحمد الحسناوي قصيدة إنسان العصر ص٦١.

(٣) شاعر وأديب وناقد سوداني، من مواليد مدينة " النهود" بمحافظة كردفان سنة ١٩٣٣م، من دواوينه المطبوعة: الزيتون، وورقات من الزيتون. راجع شعراء الدعوة الإسلامية ١٠/١٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي لحن بخْر الحوْ فألقاه طلاسم؟
أي سحر حجْر الماء فألقاه
أي فكر قلب الأمن إلى الحرب
وشقىْ مسخ الروض فألقاهقماقم؟
فرأينا كل شيء فوق دنيانا جرائم
كل شيء قائل: سل يا أخانا
كلنا جهل عميق كلنا تحت رزيْه
زعموا الشر نبوغا والدواهى

ثم يكشف لنا الشاعر محمد الحسناوي عن حال المؤمن الغريب حين يختبر حضارة اليوم فتنكشف له حقيقتها حين يفيق من وهمها على واقع مكدر فيتولى هاربا، فيقول معبرا عن ذلك:

فوق تل وأطلا وقف السائح يوما
وثمارا تتدلى فرأى سهلا فسيحا
نافحا وردا وفلا وشذى حلوا طربا
إنما فى الأرض حلا حلم كالظن يغري
ومثابا ومصلى حسبه أمنا وسلما

---

(١) ديوان ورقات من الزيتون لصالح أدم بيلو قصيدة المدينة ص ٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حسبه عمرا تولّى
فى الأضاليل فملاً

غائبا كان أضلا وانثنى السائح يرجو
عل أصحابا وعلا وتقرى الناس حيناً
غده المأمول ظلا ورنا فى الأفق يجلو
ربها عنها استقلا فإذا الجنة دار
كمنت ترتاد صلا فإذا الروضة دار
يحجب الفصل وربيع مستعار
أخطأ الصيد الأجلا فمضى السائح سهما

ومضى يصعد تلا
وعلى الروض أطلا
ثم ولّى [1]

ولا شك أن تعبير الخطاب الديني في الشعر المعاصر عن هذه الإفرازات المرضية للحضارة المعاصرة هو انعكاس لما يجده الشاعر في نفسه من أحاسيس ومشاعر، كما أنه" يكشف عن واقعية الشاعر المسلم

---

(١) ديوان عودة الغائب قصيدة السائح ص ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حين يرصد جوانب الضعف في الصورة، إذ ليس معنى أنه يمارس الإصلاح الاجتماعي كفنان ملتزم ألا تضغط هذه الحضارة على مشاعره بآثارها السلبية "[1].

ولا يعني هروب الشاعر وقلقه التقوقع على الذات، والانسلاخ من الواقع والحياة، وإنما هو إحساس ذاتي وتعبير عن مشاعر سيطرت عليه نتيجة لأحداث حياتية وواقع مؤلم، فهو يرنو من وراء ذلك الإصلاح.

ولذا وجدنا تجلي الخطاب الديني في علاج الآفات الاجتماعية، فقد عالج الشعراء الإسلاميون كثيرا من آفات المجتمع التي تقوم على الأثرة وحب الذات، وهي آفات لا تنتشر إلا في المجتمعات المادية التي تغيب عن ساحتها القيم الإسلامية السامية.

ومن هنا وجدنا الشعراء المسلمين بوعيهم الذاتي يلتمسون كل مناسبة عامة أو خاصة "يتوجهوا من خلالها إلى طبقات المجتمع على تعددها بالقصيد الاجتماعي الهادف، لتبصره بالمثالب التي قد يمارسها دون أن يفطن إلى أضرارها على الذات الإنسانية والمجتمع المحيط، وربما اشتكى بعض الشعراء بلادة الاستجابة لعملية البعث الاجتماعي، فطفقوا يعزفون ألحانا حزينة في غير يأس، ويجأرون إلى الله بالدعاء أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق والله خير الفاتحين "[2].

---

(١) دراسات في الشعر الإسلامي المعاصر ص ٨٩.

(٢) دراسات في الشعر الإسلامي المعاصر ص٨٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أكثر الآلات الاجتماعية التي عرض لها الشاعر المسلم المقيد المجهول وراء كل جديد أو غريب دون فحص واختبار، مما يدل على فقدان الهوية وغياب الإدراك الفكري والوعي الإسلامي المعاصر عن الواقع الاجتماعي.

وفي هذا يقول عيسى السلامة:

أرى يعربا صار نهب الضياع ... وأبناؤه يلثمون الغبر
كثمود صخر برته الرياح ... ودهداه سيل إلى منحدر

أرانا نقلد زي الفرنج ... وزي الهنود وزي
أرانا نسير وراء الغريب ... ونعثر عمدا إذا ما عثر
أرانا كخلق أضاع المثال ... فراح يقلد شتى الصور
فإن قمس الهابطون ... مضينا نقمس حتى
وإن مجد الحدثون الضلال ... رشقنا النجى وشتمنا
وإن من أهل الشقاء الحياة ... جرعنا الملال بكأس
فإن لم نكن قد سلبنا الحياة ... فلاشك أنا سلبنا الفكر[1]

---

(١) ديوان الظل والغرور لعيسى السلامة قصيدة ضياع ص ٥٤،٥٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحين انتشرت في المجتمع الحديث النظرة المادية للمرأة، والنظر إليها على أنها متعة أو أنها متاع يباع ويشترى، وقف الشاعر المسلم مدافعا عنها حافظا لها مكانتها الرفيعة التي أحلها الإسلام فيها، وفي ذلك يقول محمد صان الدين:

لا تحسبى حواء أنى عنك مشغول
هل أنت إلا قطعة منى استقلت عن
ما زلت أبحث عنك فى كل الأماكن
لا يعرف القلب السكينة إن نأيت عن
لكننى أبغيك يا حواء عالية المكان

•••••

لا لا أحبك سلعة معروضة للمشترين
أو دمية تطلى لتحلو فى عيون

أو تنزلين السوق فى قيظ الحياة
فالسوق يا حسناء تعرك فى رحاها
بل أنت للعرس الممرد فى سمائك

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية قصيدة أنت مني ولكن للشاعر محمد صان الدين ١٠/١٠٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك يبرز الشاعر الإسلامي على المرأة المسلمة غيرة حارة ن وإشفاقا متدفقا، تكلله عاطفة الأخوة في الله، بما يقوي أواصر الحب الإنساني الراقي، فيقول الشاعر محمد عواد[1] معبرا عن ذلك:

قلبى عليك يطير من وجدانه كتطاير الأملاح فوق المجمر
قلبى عليك يمور فى أنياطه أسفاً ويقذف بالدم المتفجر
الله يعلم يا عزيزة أننى أبكى عليك بلوعة وتحسر
فلاح أمرك فى الفؤاد كجنة وفساد حالك فى الحشا كالخنجر[2]

فهذه النماذج وغيرها تكشف عن الرؤية الذاتية للشاعر المسلم، وهي رؤية لا يبتعد بها الشاعر عن الواقع وقضاياه، وإنما هي تعبي عن كل ما ينتمي إلى الشخص أو ما ينتمي الشخص إليه، ولذلك وجدنا الشاعر الإسلامي يتتبع أدواء المسلم المعاصر رصدا وتحليلا من خلال رؤية عميقة نافذة، بحثا عن النجاة في هذا الواقع المليء بالمتغيرات السياسية والاجتماعية والدينية التي تحاول أن تطمس القيم الدينية السامية والقيم الاجتماعية الأصيلة.

---

(١) محمد عواد شاعر مصري من مواليد قرية " الزوامل " شرقية سنة ١٩٣٤م، مات شهيدا وهو في ريعان الشباب سنة ١٩٦٥م، نشرت أشعاره بمجلة الاعتصام، جمع الأستاذ " جابر رزق " مختارات منها في كتاب ترجم للشاعر فيه بعنوان " محمد عواد الشاعر الشهيد "، يراجع شعراء الدعوة الإسلامية ١٠/٣١.

(٢) محمد عواد الشاعر الشهيد، جابر رزق قصيدة إليك يا فتاة الإسلام ص ٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم تكن ذاتية الشاعر الإسلامي نابعة من التقوقع داخل ذاته أو نابعة من التفكير الذهني، بل كان لها رصيدها من خلال المشاركة الاجتماعية في واقع الحياة، وأشعاره الكثيرة التي عالج فيها الكثير من الأدواء الاجتماعية دالة على ما تتمتع به من شمولية تأبى أن تنحصر في ذاته أو تتجمد في إطار بعض المضامين دون غيرها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني

استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر المعاصر

ومن تجليات الخطاب الديني في الشعر المعاصر استلهام الشخصيات الإسلامية، حيث أخذ الشعراء المعاصرون يصورون بطولات هؤلاء الزعماء وجهادهم في سبيل إعلاء كلمة الدين، ليضعوا بذلك صورة مشرقة في تاريخ الدولة الإسلامية لكي يقتدي بها المسلمون في ظل الظروف التي تمر بها البلاد الإسلامية من حركات تبشيرية، وهجوم وتجني على الإسلام، حتى يعيدوا للدولة الإسلامية أمجادها التي كانت في أيام أجدادهم:

وأضرب أمثالا لقومى تجيئهم بصورة شيخ المسلمين كما
عسى أن يعيدوا ما أضاعوا من وأن يتلاقوا منه ما كان

ولقد كان الشعراء بالإشادة بعظماء الإسلام " يقصدون إلى الكشف عن عظمة أخلاقهم وسمو نفوسهم، والخير العظيم الذي أغدقوه على الناس، وينوهون ببأسهم وشجاعتهم " [٢]، وذلك ليضعوا الأسوة الحسنة أمام الشباب ليترسموا خطاها.

---

(١) ديوان عبد الحليم المصري ٣٠٢/٢ ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٢) وحدة الثقافة والتاريخ في الشعر الحديث د/ أحمد الحوفي ص ٤٥ ط معهد الدراسات العربية العليا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن الشعراء المعاصرين في استلهامهم للشخصيات الإسلامية يحاولون صد محاولات أعداء الإسلام في قطع الشباب عن تاريخ آبائهم وأجدادهم،وماضيهم الحافل بالعظماء ليقفوا في وجه هذه المحاولات، ويضع الشعراء أمام أعينهم صورا مشرقة من أعمال عظمائهم السابقين.

ولقد أفاض الشعراء المعاصرون في استلهام الشخصيات الإسلامية كغيرهم من شعراء العصر الحديث [1]، حين أخذوا يصفون فصاحتهم وأخلاقهم وزهدهم وفتوحاتهم، فهم القدوة والمثل الأعلى بعد وفاة النبيﷺ يرسمها الشعراء للشباب المسلم ليحذوا حذوهم، ويقتدوا بسيرتهم العطرة حتى ينهضوا، ويفيقوا من غفلتهم، ويعيدوا للإسلام مجده ودولته.

والشعراء المعاصرون في استلهامهم الشخصيات الإسلامية يعبرون في رؤاهم الفنية عن شخصياتهم التي كانت محورا لتجاربهم الشعرية، وهم في ذلك يوظفون الشخصية من حيث كونها (الوجه والقناع)، " فالوجه هو الواقع التاريخي للشخصية، والقناع هو الواقع المعاصر الذي تبعث فيه الشخصية لتنفخ فيه من روحها النقاء والعزيمة والعزة الإسلامية الشماء"[2].

---

(١) من أمثال شوقي وحافظ وأحمد محرم وغيرهم، راجع " التجديد في شعر المحافظين بمصر " رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اللغة العربية بالزقازيق لكاتب هذه الدراسة.

(٢) الأدب الصوفي الإسلامي اتجاهاته وخصائصه د/ صابر عبد الدايم ص ١٧٨ ط٣سنة ٢٠٠٤ بدون طبعة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد كانت شخصية النبيﷺ من أوائل الشخصيات التي استلهما الشعراء المعاصرون في أشعارهم، فلقد حظيت شخصية النبي الأكرمﷺ باهتمام بالغ وعناية فائقة منذ بزوغ فجر الإسلام، واستمرت هذه العناية على مر العصور في توهج عاطفي، وفيض وجداني صادقين يعكسان مدى حب المسلمين للنبي الأكرمﷺ حتى غدا المديح النبوي واستلهام شخصية النبيﷺ وفضائلها غرضا لا يكاد يخلو منه شعر شاعر، لأنه صار لونا عن العواطف الإيمانية، وبابا من الأدب الرفيع يصدر عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص.

وقد توالت أشعار المسلمين في شخصية النبي ﷺ في شتى العصور، وأصبحنا نجد في العصور المتتالية نزعة عارمة عند الشعراء في استلهام شخصية النبيﷺ، والتعرف على سجاياه وفضائله الحميدة باعتباره المثل الأعلى والإنسان الكامل، وأفضل الخلق الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، ومنقذا وهاديا للإنسانية جميعا.

ومن هنا لم يكن الشعراء المعاصرون بدعا في استلهام شخصية النبيﷺ بل ساروا على منهج غيرهم من الشعراء السابقين في التغني بشخصية النبي الأكرم في محاولة للربط بين الماضي والحاضر، ودعوة المسلمين إلى الاقتداء بما في شخصية النبيﷺ من بعث وقوة، ولعل الذي أوحى بذلك هو تأثير الحملات ضد الإسلام، وما تمر به البلدان الإسلامية المختلفة من قلاقل واضطرابات أرجعها الكثير من الغربيين المتطرفين إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلام، فكان من الطبيعي أن تنعكس أصداء تلك الظروف على الشعراء المعاصرين حين شعروا بالمطاعن التي يوجهها خصوم الإسلام إليه.

ولقد أخذ استلهام شخصية النبيﷺ مظهرا جديدا عند الشعراء المعاصرين لم يعرفه الشعراء من قبل، برز من خلال الحياة الجديدة والتحديات الكبيرة التي يواجهها الإسلام، " فاستحضر الشعراء تلك الشخصية لأن صاحبها حامل لواء النور، وصاحب الوحي، وفيه تتجلى محاسن الدين، وقيم الإسلام على صورة لم يشهد العالم لها مثيلا في القديم والحديث، وقد استتبع هذا الاستدعاء ذكر ملامح شخصيته العظيمة، وأخلاقه العالية، ودوره الهائل في جهاده لنشر الدعوة، وإقرار مبادئ الخير والحق دستورا للحياة البشرية، وما جابهه في معاركه الكثيرة من مناوشات الظلم والطغيان، وما ترتب على نجاحه من تغيير لأنماط الحركة العربية والحياة الإسلامية "[1].

والشعراء المعاصرون في استلهامهم لشخصية النبيﷺ على اختلاف طرائقهم التعبيرية قد أصدروا من حب صادق للشخصية المحمدية، ووجدان ديني أصيل نابع من الإيمان بقدرة هذه الشخصية على تجاوز المحنة التي يمر بها المسلمون في الوقت الحاضر بما لها من شحذ لعزيمة المسلمين واستلهام كوامن هذه الشخصية العظيمة.

---

(١) صوت الإسلام في الشعر العربي المعاصر د/ القطب يوسف زيد ص ٦٨ ط أولى بدون طبعة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا ما التفت إليه أحمد شوقي منذ مطلع النهضة الحديثة حين عرض صفات الرسول وجلائل أعماله، ومواقف صحابته مظهرا احتياجنا إلى هذه الصفات والاقتداء بتلك الأعمال الجليلة والصفات النبيلة (١)، فيقول ـ من بحر الكامل ـ:

يا من له الأخلاق ما تهوى منها وما يتعشق
لولم تقد دينا لقامت وحدها دنيا تضيء بنوره
زانتك فى الخلق العظيم يغرى بهن ويولع
والحسن من كرم الوجوه ما أوتى القواد

فهذا الاتجاه من شوقي نجده مغايرا لما سار عليها القدماء في استلهام شخصية النبيﷺ، ويبرز ذلك بوضوح حين ربط بين استلهام شخصية النبيﷺ وبين ظروف الأمة التي تمر بها، فنجده في قصيدة نهج البردة التي عارض فيها البوصيري يقول:

مهما دعيت إلى الهيجاء ترمى بأسد ويرمى الله
على لوائك منهم كل منتقم لله مستقتل فى الله معتزم

---

(١) تطور القصيدة الغنائية د/ حسن الكبير ص ٣٥ ط دار الفكر العربي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فشوقي يضع أمام أعيننا " صورة كفاح النبيﷺ من أجل إعلاء كلمة الدين، فتتراءى أمامنا مواقف الرسول الكريم في المعارك الإسلامية، وصحابته من حوله يناصرونه ويؤيدونه، مقبلين على أعدائهم بروح ثابتة ونفس راضية وعزيمة قوية،، مدفوعين بإيمانهم القوي الذي وقر في نفوسهم، واستقر في وجدانهم، مقتدين برسولهم الكريم في الجهاد والفداء حتى استطاعوا أن يرسوا مبادئ الإسلام ويوطدوا دعائمه ويعلو كلمته"[1].

ولقد استمر تدفق الشعراء في استلهام شخصية النبيﷺ في أشعارهم نظرا للظروف والتحديات التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية في العصر الحديث، فما كان تعلقهم بشخصية النبيﷺ إلا إعلانا شعريا عن ضرورة التأسي به والخطو على طريقه بغية النجاة من مشكلات الحياة.

ومن هنا " رأينا حشدا كبيرا من شعرائنا المعاصرين يبرزون ملامح الشخصية المحمدية وقيمها وجهادها، وأثرها في حياة الشرق بصفة خاصة، والإنسانية بصفة عامة... في تشوق إلى إحياء أفعاله وأقواله كخطة سلوكية،بها تتخلص الحياة المعاصرة مما تواجهه من تحديات " [2].

---

(١) تطور القصيدة الغنائية د/ حسن الكبير ص ١٠٣.

(٢) صوت الإسلام في الشعر المعاصر ص ٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذا علي الجمبلاطي[1] يتحدث عن علو منزلة الشرق وسمو مكانته حين احتضن هدي النبيﷺ وجعله الأساس لانطلاقه في قيادة الحياة بعد حياة الذل والقهر والطغيان، فيقول في مطلع القصيدة[2]:

غناك وحي المنى لحنا شرق بهديك مس النجم أزمانا

ثم يقول:

ما يقظة الشرق إلا لمحة عليه منك فبات الشرق
ردت به دول الإسلام عزتها وكنَّ ضيما وأغلالا وحرمانا
وأصبح الدين ينبوع الحياة فإن يظمأ له الكون رواه وروانا

ثم يشير الشاعر إلى أن هذا التحول الهائل في الحياة لم يتوقف داخل دائرة الشرق، وإنما زحفت أنواره العلية إلى فضاءات واسعة، فشمل الإنسانية بوجه عام، فنجده يقول[3]:

---

(١) الشاعر (علي الجمبلاطي).. شاعر مصري تخرج في كلية دار العلوم.. جامعة القاهرة،عمل مدرساً للغة العربية، وترقى في عمله حتى وصل إلى وظيفة مستشار للغة العربية في وزارة التربية والتعليم المصرية، شارك في تأليف بعض الكتب المقررة في مادته، توفي الشاعر (على الجمبلاطى) في سنة ١٩٧٦.

(٢) مجلة الشبان المسلمين، يونيو ١٩٦٤.

(٣) مجلة الشبان المسلمين يونيو ١٩٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا منقذ الكون والأيام في غيبها لم نجد إلاك ربانا
حطمت بالحق أغلال يحطم الفجر للظلماء أركانا
ورحت تنفض عنها كل حتى كأن الهوى والظلم ما
فأمست البيد أفياء مغردة وأصبح الكون بالتسبيح
أنقذت إنسانه مما تحيفه وكان غيا وأوهاما وعدوانا
إن هلّ نورك في بيداء غدت خميلا وعاد الصخر

وكذلك يستحضر الشاعر 'عبد الخالق نصير' شخصية النبي الهادية والتي بنورها تتحول الأرض المقفرة إلى خضرة ونماء، والقلوب القاسية إلى لين ورحمة حين يعبر عن تشوق الكون كله لنور النبيﷺ ويأمل في الاهتداء بهديه والسير على طريقه فيقول[1]:

شمس تألق نورها والكون يعشق ضوءها
شمس العقيدة والرسالة بمحمد وبنوره جلاها
الشوق في قلب الحياة سبحان من منح الحياة

ولما كانت الرغبة ملحة إلى تغيير الواقع الحياتي المعاش للأمة الإسلامية حين تكاثرت عليها عوامل الانحلال والجدب والتيه، كانت رؤية الشعراء المعاصرين إلى أمل مشرق، وإلى مجد متألق انزوى ظله في

---

(١) مجلة نور الإسلام العدد السادس سنة ١٩٨٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الواقع المعاصر، وتسعى هذه الرؤى الشعرية إلى نور مبين، وتستمد برموز استنارت بعدلها وإنسانيتها وحضارتها الزاهية الدنيا كلها.

ولهذا نجد الشاعر محمد الحلوى[1] يصف في دقة متناهية الجو العام الذي كان يسود العالم قبل ميلاد النبي ﷺ ممثلا في مختلف مظاهر الشر والظلم والفساد، وكأنه يشير بذلك إلى ما يعادله في حياتنا المعاصرة، فيقول:

طفح الشر فى رؤاه كل خير وسادت الدهماء
وإذا الناس فى الحياة قطيع مستباح تعيث فيه الرعاء
الرجال الشداد فيه عبيد والنساء الحسان فيه إماء
وتدلت إلى الدنايا نفوس صرعتها الميول

---

(١) محمد عبد الرحمن الحلوي ولد عام ١٩٣٣ بمدينة فاس بالمغرب، نشأ في مدينة فاس العلمية وتربى في أسرة عرفت بالفضل والصلاح فوجهته إلى المسجد والكتاب. وتخرج في جامعة القرويين محازاً في اللغة العربية وعلومها ١٩٤٧، دواوينه الشعرية: أنغام وأصداء ١٩٦٥ - شموع ١٩٨٨ ، أوراق الغريب ١٩٩٦، نال جوائز العرش الأولى في الأعياد الوطنية ، والجائزة الأولى في عكاظية الحبيب بورقيبة ١٩٨٠، وجوائز وزارة الأوقاف. ووسام الشرف الأكبر من الأكاديمية الملكية العسكرية، وكأس لسان الدين بن الخطيب في الشعر ١٩٨٩، وجائزة الإبداع الشعري من مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ١٩٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهذا كان استلهام شخصية النبيﷺ في ذكرى ميلاده إيذانا وأملا في الخلاص من هذا الواقع الأليم، والخروج من ظلمات الجهل إلى نور الهدى، ثم يسبح بخياله إلى فضاءات الأيام الماضية التي كانت بميلاد النبي عيدا وضياء وبهجة، فيقول:

مولد كان عيدا وبشرى لوجود بخاتم البشراء
رددتها الأفواه في كل وسرت كالعبير في
خير بشرى لهائمين في متاهات رحلة
نور الكون ساطع من تتلألأ من وجهه

ثم نجد الشاعر وهو يستحضر الماضي الذهبي للإسلام يجتهد في رصد مختلف الظروف التي نشأ فيها النبيﷺ، والصعوبات التي واجهته في سبيل الدعوة لتكون مثلا أمام شبابنا، يستعينون به في التخلص مما انتاب واقعهم من التفرق والتشتت الذي أضعف جانبهم فيقول:

فأغث أمة بدينك تحيا ولأبنائها إليك انتماء
ضعفت بالخلاف فهي وهو في كل ما تعاني
يا مجيرا إذا الأحبة وصديقا إن خاننا
كيف نثني وأنت من ووافاه من سماه الثناء

ومن النماذج الفريدة في استدعاء شخصية النبي ﷺ قول محمود حسن إسماعيل:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا أول النور

عطش الدنيا جن عليه.. وروى الحيرة من قدميه

البيد الظمأى.. شربت منه..

وراحت تسقي الظمأ اللاهث في الأكوان

وأذاب ضحاه جدار الليل..

.. وأوغل.. أوغل.. حتى شعشع في الإنسان

رسن اليقظة والتوحيد على رئتيه

ومحا الذلة والإطراقة من جفنيه

ودمى الرق وكان محالا لا يتزحزح من كتفيه

ومضى يسحق كل ظلام.. عبر الدهر ومر عليه

عرج الأفق وأذن من أعلى أعلاه...

... وراح يدق.. ويطرق.. يطرق.. في الأبواب

الفجر توهج يا سارين على الأعتاب

والليل الضارب حول الكون تصدع في شفتيه وذاب [1].

---

(١) ديوان نهر الحقيقة لمحمود حسن إسماعيل ص ١٩٠: ١٩٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ففي هذه الإطلالة تبرز الحيوية الدافقة والتناغم المتناسق والقدرة التواصلية الفائقة مع شخصية النبيﷺ حيث نجد الشاعر " يخوض تجربة الارتحال مع النور الأعظم، ويشهد ببصيرته انبثاق النور المحمدي في آفاق الكون، فتتجمع خيوط الزمن في ذاكرته، وتتوهج مسيرة الإسلام في وجدانه، والنور العظم يتهادى أمام مسارات تجربته، فتبصر الكون وقد أفاء الله عليه بظلال الإسلام، وتبديد الرؤى الوثنية المظلمة " (١).

وكذلك استلهم الشاعر محمد التهامي شخصية النبيﷺ في خطابه الديني حين أطاحت بالمسلمين الأهواء وتكالب عليم الأعداء لبعدهم عن المنهج الإسلام القويم، وحين رأى الواقع من حوله يضج بالمتناقضات، واللهث المادي والسقوط الأخلاقي، ففي هذا المجتمع علا شأن السفهاء والعملاء الذين راحوا يتنكرون لثوابت دينهم من أجل الكسب المادي حتى ولو كان هذا الكسب أمام مشهد مأساوي عدواني تمثل في قتل المسلمين وتشريدهم، ومن هنا جاءت هذه الصرخة المدوية في قوله (٢):

يا سيدي طال الزمان بالمسلمين زعازع نُكْباءُ
جهلوا حقائق دينهم فى الأرض حيث يبوأ

---

(١) الأدب الصوفي الإسلامي اتجاهاته وخصائصه د/ صابر عبد الدايم ص ١٧٨.

(٢) أنوار شعرية في المسيرة المحمدية لمحمد التهامي سلسلة دراسات إسلامية ــ عدد ١٥٧ ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ مصر ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدار دارهم تعجُّ بخيرها لكنهم فى دارهم غرباءُ
سلبت بلادهم وشُرِّدَ والأخرون وقد علمت
مستضعفون فبعضهم خلف القطيع وبعضهم
مدوا إلى الأعداء كف يا حسرتى هل يعطف
أعداؤنا كُثُرٌ وفوق أكفِّهم من كل قتلى المسلمين
هل هؤلاء يضمِّدون إن صحَّ ما زعموا فأين

وليس يخفى ما وراء هذه الصرخة من البوح بهموم الجماعة الإسلامية، وهو ما يميز خطابه الإسلامي حين أخذ يعدد مناقب الدين الإسلامي وفضله على الإنسانية وبخاصة الغرب الملحد، ويدافع عن عقيدته وشريعته السمحاء التي جاءت للدنيا بالسلام والحب والأمان، معرضا بأعداء الإسلام الذين يدّعون الحضارة والرقي وهم القتلة ومستعبدوا الشعوب فيقول في القصيدة نفسها:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضلوا سبيل المسلمين وتاجروا بشعارهم والمسلمون براء

لو يفتحون عيونهم لبدت لهم مما شرعت محجة بيضاء

ورأوا حياة المسلمين عزيزة لا منّة فيها ولا استجداء

ورأوك تعمل كى تعيش مكرّما ولديك ما يُزْهى به الكرماء

ورأوا طريقك بالكفاح مخضبا لا هدأة فيها ولا إبطاء

ورأوا حياتك يا رسول الله للعاملين تحفها الأضواء

يا طالما ألقى جبينك فى الثرى عرقا تضوع بمسكه

ولقد وظف الشاعر الدكتور صابر عبد الدايم شخصية النبي ﷺ في العديد من قصائده الشعرية، ومنها قصيدة (قافلة الغرباء) حين يقول:

أحمل في شرياني الحب ــ أجيء إليك على استحياء

يا من أشرقت علينا بشريعتك الغراء

أهواك.. فأنت سقيت كياني معنى البوح وسر الإفضاء

ألهمني سر الوجد فأنت بأرض العشاق سماء

وأراك أتيت إلى العالم في قافلة الغرباء

ولأنك أدركت الجوهر في عمق الأشياء

وتساقيت رحيق الحق من العلياء

صارت كلماتك أفاقا للشرفاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا أبواب الجنة.. أبوابك.. تفتح للفقراء

والعالم سيق إليها زاحفا تغمره الآلام

لم توصد أبوابك إلا في وجه الشعراء

فالشعراء تراقوا بنبال الحرف العمياء

واقتتلوا في ساحات الكلمات الجوفاء [1].

فهو في استحياء الشخصية المحمدية يعبر عن الواقع المعاصر الذي امتلأ بالآثام حين انحرفت مسيرة الشعر عن الدرب الصحيح، وأصبح سبيلا للنفاق، ومعبرا للكسب، فكان استحياء الشخصية لتتنفخ في هذا الواقع من روحها النقاء والعزيمة والعزة الإسلامية.

فهذه الوقفة مع تلك النصوص الإبداعية الصادقة تستثير كوامن النفس الإنسانية، فتظهر رغبتها في التطهر من واقعها الأسن المرفوض، واستدعاء الشعراء لشخصية النبي الكريم ﷺ القائد والقدوة والمنقذ إنما هو اعتراف صريح بمأساة مسلمي اليوم وقد تفرقت جموعهم، وفقدوا القدوة والقائد.

وتتجلى شخصية الرسول الأعظم كرمز للنجدة والحمى والملاذ والملجأ حين يقول الشاعر حسين علي محمد من قصيدته (الحلم والأسوار):

---

(١) ديوان العصافير في سنديانات الزمن د/ صابر عبد الدايم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا أحمد.. يا قمر الليل.. أيا محبوبي

أنقذني من ظلمات تتكاثف حولي..

أشعل في الحب.. وخلصني من موت يغتال حياتي قهرا

أشعل في الرغبة في الإنشاد وفي تغيير العالم

هات القرآن لأتلوه الليلة يا قمر الصيف النشوان..

لن نقضي هذا العمر بكاء وعويلا

قل لي: إن الشمس قريبا ستعود إلينا.

فنلاحظ بروز شخصية النبي وقد لمست شغاف قلب الشاعر، وسيطرت على مشاعره الداخلية، وخلفت فضاءات شعرية عديدة تبعث من شخصية النبيﷺ، واستطاعت أن تلملم شعث الشاعر من الظلمات التي أحاطته من جانب، والموت الذي يغتاله قهرا والبكاء والعويل الذي يلازمه من جانب أخر.

وهذا يدل دلالة واضحة على حالة الرفض للواقع حين سيطر عليه الجبابرة بالظلم والفساد بل والاستعباد، ولذلك نرى الشاعر يرحل بتجربته ومعاناته عن الواقع إلى الماضي البعيد عن طريق هذه النداءات (يا ــ أيا) التي توحي بالحنين والشوق إلى هذا المنقذ والمخلصﷺ بعد هذا التباعد والتنائي الذي سيطر على مسلمي اليوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن الشخصيات التراثية التي كان لها أصداء مختلفة ومتفاوتة في الشعر العربي وخصوصا الشعر المعاصر شخصية خالد بن الوليد، وذلك تبعا للظروف والمناسبا والأحداث التي تلم بالعرب والمسلمين في حياتنا المعاصرة.

ولعل الواقع المعاصر للأمة الإسلامية يحتاج إلى استحضار مثل هذه الشخصية العظيمة لتعيد بناء صرح الأمة من جديد أمام تكالب الاستعمار الغربي وأحلافه وأشكاله، وأطماع الصهيونية الإقليمية والعالمية، وما يصاحب ذلك من غزو ثقافية وتغريب، واغتصاب للأراضي والحقوق المشروعة في فلسطين وغيرها، وما إلى ذلك من صنوف العذاب والتنكيل والمضايقات التي يتعرض لها المسلمون أفرادا وجماعات.

فأما شخصية البطل خالد بن الوليد " فقد كانت موضع اهتمام كثير من الشعراء المعاصرين، نظراً إلى أنه من أولئك القواد الكبار الذين قادوا جيوش الفتوح، وحققوا الانتصارات المجيدة، وهزّوا أعتى العروش الرومية والفارسية، وكانوا نماذج راقية للرجال الأفذاذ والعبقريات النادرة التي تدهش الألباب، وكانوا أيضاً ممن تباعدوا عن الظهور، ورغبوا في الشهادة الخالصة من الشهرة وطلب المغانم، فكانت حيواتهم مبعثاً لتجديد الهمم، والتذكير بالواجبات وفتح مجالات موصدة في مسالك الحياة لتحقيق الغايات المنشودة وتجسيد الآمال الناضرة " (١).

---

(١) أسماء الشخصيات التراثية ص ١٥٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا الغنى وهذه الحيوية في حياة خالد وسيرته وبطولاته " ملأ نفوس الشعراء هيبة وإجلالاً، وجعلهم يستلهمون مآثره وبطولاته وجلائل أعماله عسى أن يتجمع الشمل، ويرتفع لواء النهضة عالياً خفّاقاً، كما كان في الماضي، وتتحقق الانتصارات المأمولة التي تضع حداً لمطامع الأعداء والكائدين، ولتخاذل الضعفاء من المؤيدين والقُرابى، وتتاح الفرص لظهور قادة موحّدي الكلمة، ويعتمد عليهم في خوض المعارك المظفّرة، واستعادة السيادة الغائبة " (١).

ولقد أبدع الشعراء المعاصرين في استلهام شخصية خالد بن الوليد إبداعات كثيرة وفق الظروف والمناسبات والملابسات، فقد استلهمه الشعراء على أنه بطل تراثي عظيم يحتفظ بمكانته السامية، ويصبح مضرب مثل للبطولة العربية والإسلامية في مختلف المناسبات لحفز الهمم إلى معالي الأمور.

فهذا أحمد محرّم يأسى لما آلت إليه حال العرب، ويتحسر على ما فقدوه من موروث الإباء والنخوة والقوة، ويتمنى مخلصاً أن يدلّوه على رجل يقوم مقام خالد بن الوليد، يُزجي الصفوف ويحضّ الفرسان على الجهاد، ويقول بلهجة الواثق المطمئن، والمتفائل بالمستقبل المُشرق:

---

(٢) مجلة التراث العربي العدد ٨٨ السنة ٢٢، ديسمبر ٢٠٠٢، شوال ١٤٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا آل يعرب من يريني خالداً يزجي الخميس ويستحث

من شاء منكم فليكنه، ولا ذهب القديم، فإنه لن يذهبا

السرّ باقٍ، والزمانُ مجدّدٌ والسيفُ ما فقدَ المضاءَ ولا

وفي هذه الحقبة من التاريخ المعاصر تتوالى الأحداث على الوطن العربي، وتظهر أطماع الغربيين على حقيقتها، ويشعر العرب والمسلمون بالخطر الداهم فيقفون في وجهه، ويوقظون النفوس الغافلة، ويصبح اسم البطل خالد بن الوليد رمزاً للسمو، وقدوةً للمناضلين الأحرار، فنسمع صوت الشاعر السوري عمر يحيى يقول:

أيها الناشد مجداً تالداً هل تمشيت على شطّ "اللّوار"؟

عنعنات الغرب لا تحفل فابنُ عبد الله للعرب شعارْ

ما تعلّمنا، وهذا خالدٌ رافعَ المجد، بأن نرضى

ثم كانت قصيدة الشاعر المهجري إلياس قنصل (١٩١٤-١٩٨١) التي انطلق فيها معبرا عن موقف عديدة في حياة القائد خالد بن الوليد، فتحدث فيها عن " مآثر خالد في صيانة الإسلام وتدمير معاقل الطغيان، وتحرره للفرس والروم، وحسن معاملته لأهالي البلاد المفتوحة. وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن شخصية خالد وفضائله النفسية وسجاياه، وخبرته بالقتال وآرائه السديدة، وجراحاته السبعين في المعارك "[1]، ولا ينهي إلياس

---

(١) مجلة التراث العربي العدد ٨٨ السنة ٢٢، ديسمبر ٢٠٠٢، شوال ١٤٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فنصل قصيدته قبل أن يعلن عن أمنيته وتلهفه لظهور قائد جديد لهذه الأمة العربية التي توالت عليها الحادثات والمحن، وهي في أمسّ الحاجة إليه في هذه الظروف الصعبة، فيقول[1]:

ألا قائد ثان لأمة يحرك فيها عزمها

ألا قائد ثان يداوي اعتلالنا ويجعل دنيا العُرب صفاً
إلام نغضّ الطّرف عن ريبة وللبث في سفح الكلال تردّدا
أما حان أن نجري على نحو أما حان أن نرضي اللبيّ

وهكذا تنتهي قصيدة إلياس فنصل بحلمه الكبير، وهو التطلع إلى قائد جديد للعرب يتحلى بتلك السجايا والخصال التي عرض الشاعر لبعض منها، وينقذ الأمة مما حلّ بها من التردي والانحطاط والضعف، على كثرة الزعامات والرياسات في هذا العصر الأنكد.

ومن القصائد المعاصرة أيضا قصيدة: "أوراق مطوية من مذكرات سيف الله المغمد" [2] للشاعر المصري أحمد عنتر مصطفى، وهو في قصيدته هذه " يحاول استغلال شخصية القائد خالد بن الوليد لإبراز

---

(١) مجلة "الفيصل" في العدد ٢٣ بتاريخ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ/ أبريل ١٩٧٩ ص١٠٤، ١٠٥.

(٢) نشرت في مجلة "الآداب" عدد نوفمبر ١٩٧٢م، ص ٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المفارقة بين روح الجهاد المتوقدة التي كانت تضطرم بين أضلاع المجاهد القديم، وروح الضعف والانكسار التي تسري في أوصال خلفه" [1].

والشاعر يبرز هذه المفارقة بدءاً من عنوان القصيدة "فخالد الذي يتحدث عنه ليس "سيف الله المسلول"، وإنما هو "سيف الله المغمد"... إنه ليس ذلك البطل المنتصر الذي لم يهزم في حرب قط، وإنما هو خالدٌ معاصر مهزوم، بلغت الهزيمة نخاعه، حتى إنه ليشرب نخب انتصار عدوه:

أوّاه يا مخزوم

الشوك في الحلقوم

والقائد المهزوم

يشرب نخب الروم

ولكن خالداً -وإن حمل وحده وزر هذه الهزيمة- ليس هو المسئول عنها وإنما هو ضحيتها وشهيدها، إنما المسئول هو ذلك الواقع المهزوم المنهار الذي يحيط بخالد، والذي تحولت شعلة الجهاد التي كانت تتأجج بين جنبيه إلى روح تخنث وميوعة، فماذا يفعل خالد وحده وسط هذا الواقع الفاسد، وهو الذي تحمل وحده كل الجراح وكل الغصص؟:

وحين ترين رماحي بكف الصبايا تحوك، تطرز صوف التريكو

---

(١) مجلة التراث العربي العدد ٨٨ السنة ٢٢، ديسمبر ٢٠٠٢، شوال ١٤٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأمسية من أمسي الشتاء مع المنفاة

وتغدو سهامي مراود كحل أمام المرايا، وبين الجفون تقلّبين امرأة

فتستصرخين دمي العاصفا

وتتكسرين وتتحسرين كأغنية في الضمير تراخت ولمّا تجد عزفا

فلا تتكري همتي... فإن بظهري بقايا رماحهم الواعدة

وظلّ سنابك خيلهم المرجأة.

فبهذه النماذج وغيرها تبين أن شخصية خالد بن الوليد قد حركت أذهان الشعراء، وهاجت نفوسهم، ودفعتهم إلى القول وإلى خوض هذا الميدان وربطه بالحاضر المعاش للأمة العربية التي تفتقر اليوم إلى قائد يسطّر الأعاجيب، ويفعل الأساطير لبعث أمجاد هذه الأمة، وبناء حاضرها، والإعداد لمستقبلها.

والشعر المعاصر ملىء بالنماذج التي تشابه الشخصيات التراثية حيث يرى الشعراء المعاصرون ارتباط حضور الشخصيات المشابهة بالظروف والأحداث التي تعصف بالأمة الإسلامية.فهذه شخصية "بلال" التي تمثل نموذجا من الشخصيات المستلهمة في تجارب كثير من الشعراء المعاصرين، ومنها قصيدة "ترنيمة بلال" للشاعر حسين علي محمد، والتي تعد "تجسدا من تجسدات الحلم الماضل، ويحمل دلالات رمزية معاصرة، ويستغل الشاعر من ملامح شخصية بلال ﷺ ملمحين أساسيين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المؤذن والمجاهد الصامد، فإلى جوار كون بلال هو مؤذن الرسول فهو واحد من الذين تحملوا أقصى صنوف العذاب في سبيل عقيدته، وصمد صمودا فذا والمشركون يجرونه في شعاب مكة، ويضعون الصخور على صدره ليعلن كفره بالدين الجديد، ولكنه لم يكن يحرك لسانه بسوى هذا الدعاء العلوي " أحد.. أحد "، وقد امتزج هذان الملمحان امتزاجا فنيا بارعا للرمز من خلال هذا المزج إلى انتصار صوت الحق دائما في النهاية واكتساح نور الحق لكل ظلمات الضلال والظلم، شريطة أن يجد هذا الحق أنصارا في مثل صمود بلال، ومثل يقينه:

خلف النوافذ حط عصفور شريد

نقر المساء

فافتر عن فجر جديد

فجر العصافير التي غنت كثيرا للصباح

أحد..... أحد.

أحد..... أحد.

أحد..... أحد.

والليل يرحل والجراح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشعر.. شعر مصطفى.. تجتاح مكة والبطاح [1]

وهذه هو الشاعر "مصطفى أبو سوسة" في توظيف الشخصية الإسلامية مع الواقع المعاصر "يظل في تجاربه يفتش عن الرؤية الشمولية للشخصية الإسلامية التي شاركت في صنع الوجود المسلم بكل أبعاده ويحصر توظيفه للشخصية في البعد السياسي والبعد الاجتماعي، فتراه يصوغ رؤيته وموقفه من حركة الحياة ويجعل من الشخصية في بعض التجارب معبرا فنيا يقنع من خلاله نفسه وموقفه مما يدور حوله من متغيرات وتناقضات، فيقول في معرض تصويره لشخصية أبي ذر الغفاري:

تتمطى قدامي صحراء المنفى موجك صدى

تتكوم في صدري الأحزان

يا أحبابي ملذا في الإمكان ؟؟

طوقني سجني.. فالخطوة سجان

والكلمة سجان

حتى أنفاسي تحصيها أصلاعي سجان....!!

أتذكر لحظة أن قالت "لا" ذر "يسحبه الحراس إلى الرمضة

---

(١) انظر مقدمة حوار شعره الطلب للدكتور علي عشري زايد ص ١٦، ١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حملق في وجهي برهة

أعطاني معتذرا ظهره

ومضى يحكي للحصباء عن النار المنتظرة

عنا حين تجرعنا الموت قعودا

حين تجرعناه وقوفا

لكني ما فارقت خطاك

فمعاوية يلاحقني منذ شاهد فوق ذراعي نقشا باسمك [1]

والشعر المعاصر حافل في ديوانه الشعري بالكثير من الملامح الإبداعية التي جعلت الشخصية التراثية هدفا لها في التوظيف والاستلهام[2]، وكان: استدعاء الشخصية الإسلامية في بعض التجارب الشعرية لا يقدم في صورة كلية أو في مشاهد متعددة من حياة الشخصية، ولكن يأتي في صورة " شفرة تراثية إيحائية " متمثلة في اسم هذه الشخصية أو لقبها، وكأن الشاعر يستدعي برقية عاجلة من هذا التراث المجيد ليطل بها على الواقع الجريح تمسكا بالجذور، وتشبثا بهوية الأمة، وزرعا للثبات

---

(١) ديوان " السفر في أنهار الظمأ " لمحمد أبو دومة ص ٨٢: ٨٨.

(٢) راجع مقاطع من سيرة أناه يعقوب د/ صلاح الزهراني، ورسالة إلى محمد الصالح د/ صابر عبد الدايم، والمختصماء د/ حسين علي محمد، أمشي لعازر القصيبي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في النفوس، وانتزاعا للقنوط في مسرة الأمة في نضالها المعاصر ضد الأعداء ". (١).

وهذا يعني أن الشعراء المعاصرين لم يوظفوا الشخصية الإسلامية توظيفا تراثيا فحسب، بل استلهموا الشخصية لتكون المثل والنموذج النضالي أمام شباب الأمة، فهذا الاستدعاء يمثل الرفض والنقد للواقع المعاصر كما يمثل الشوق إلى انتصار الوجود الإسلامي والعودة إلى ذروة المجد وقمة الحضارة التي كانت للأمة الإسلامية.

---

(١) الأدب الصوفي الإسلامي اتجاهاته وخصائصه د/ صابر عبد الدايم ص ١٨٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

الخطاب الديني وهموم الأمة الإسلامية

إن هموم المسلمين في هذا العصر كثيرة، ومتشعبة، ومحزنة، إذ أصبح واقع الأمة الإسلامية من حيث فرقتها وشتاتها وتقهقرها، وتخلف أبنائها، والجري وراء الحضارات الزائفة " يشكل هاجسا ملحا ودائما لدي الغيورين ممن أرهقهم وأقض مضاجعهم واقع الأمة المتردي من علماء الإسلام ومفكريه ومبدعيه من المهتمين بحاضرها ومستقبلها، وهو اهتمام واضح في مساحات تفكير حركات التغيير المعاصرة في العالم العربي والإسلامي، كما هو بارز في النتاج الفكري لرواد النهضة الإسلامية المعاصرة، وفي عطاءات النخب الفكرية ورموز ومدارس هذا الاتجاه"[1].

ومن المؤلم أن هذا العصر على الرغم من الشعارات البراقة التي يرفعها كاحترام الحريات وحقوق الإنسان، والإخاء البشري والسلام العالمي والديمقراطية وغيرها من النداءات الغوغائية قد فاضت دفاتره بما سجلت من معاناة الأمة الإسلامية دون غيرها من أمم الأرض، وما يلقاه المسلمون من التنكيل والتآمر، ومن سموم مخططات الإفناء الأدبي والمادي، ومن الاستفزاز الحضاري.

---

(١) الخطاب الإسلامي في الشعر العربي المعاصر د/ علي عبد الوهاب مطاوع ص ٩٩ ط مكتبة مؤمن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولذلك برزت تجليات الخطاب الديني في الشعر المعاصر حين أخذ الشعر الإسلامي يسجل حضوره البارز في قضايا الأمة وهمومها ومآسيها، ووقوفه الدائم في الأحداث راصدا ومحللا، ومعبرا بعمق عن مشاعر هذه الأمة وأحاسيسها، واهتماماتها وطموحاتها.

فلقد وقف الشعر الإسلامي في وجه الاستعمار الذي استهدف استغلال ثروات الشعوب الإسلامية وطمس معالمها الحضارية والقضاء على هويتها الدينية، وتفريق أبنائها وتشتيتهم بعد تقسيم هذا الوطن الإسلامي الكبير إلى دويلات وإمارات، والقضاء على الخلافة الإسلامية في تركيا.

ولم يتصد الشعر الإسلامي للاستعمار فقط، بل واجه ظاهرة التغريب و كل أنواع الانسلاخ الحضاري، وواجه بعنف وشراسة الإيديولوجيات البشرية الزائلة مثل الماركسية والشيوعية والرأسمالية و الوجودية وكل التصنيفات المدرسية في مجال الأدب مثل: الكلاسيكية والرمزية والرومانسية والسريالية والواقعية الاشتراكية واللامعقول.

وكانت كل هذه التيارات تصدر عن رؤى فلسفية غربية تعبر عن الضياع والقلق والمنطق الغربي والتمزق الذاتي والحضاري، وتبشر بتصورات بشرية سرعان ما تؤول إلى الزوال والتجاوز، والبحث عن بديل نظري آخر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الحيرة والتردد والعبثية والروح السلبية و النظرة المأساوية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن هنا أفرزت تلك الأحداث شعرا إسلاميا معاصـــرا ينـــافح عـــن التصور الإسلامي منذ بدايات الاستعمار إلى يومنا، وقد سعى هذا الـــشعر الإسلامي المعاصر لمواكبة الأحداث التي تمر أو مـــرت بهـــا الأوطـــان العربية والإسلامية، واتخذ هذا الشعر الإسلامي ثوبا جديدا وتسلح بأدوات جمالية معاصرة وحدد أهدافه بشكل دقيق وواضح لخدمة الرسالة الإسلامية المنوطة به.

ويصور الشاعر الإسلامي نمو العقائد المعصرة التـــي تهـــدف إلـــى التضييق على عقيدتنا ومحاصرة إسلامنا، وتشويه واســـتفزاز أنـــصاره، وطرح هذه العقائد الفاسدة كبدائل حضارية ـــ في رؤيتهم ـــ أمام النـــاس وأمام أبناء المسلمين حتى يتركوا دين آبائهم وينسلخوا من أصالتهم ويعقوا عقيدتهم السمحة تحت شعارات مزيفة وتبريرات واهية، فيق شيطانهم بينهم متعاليا بقوله:

مرحبا بالأهل.. بالإخوة.. مرحى بالأحبة
أنت حزبى.. فهيـــا كلكـــم يفـــتح قلبـــه
إنه بيتى.. لقـــد أعددتـــه للكفـــر جعبـــة
مزقوا الإسلام هيا.. واجعلوا التوحيد سبة
ثم كونوا لفساد الناس دعـــوى مـــستتبة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انشروا الفتنة.. لا تبقوا من الإيمان حبة
إنكم إن تتركوها فرخت في كـل ذريـة
استعدوا.. إنه الباطل قد أعلـن حربـه
احملوا الراية.. فالباطل لن يعدم حزبه[1]

ولهذا يأتي صوت الشاعر الإسلامي المعتز بدينه الثائر لكرامته حـين تطاولت الألسنة على منهج الدين الإسلامي فيقول:

يا دعوة الحق سيري رغم وجلجلي في الورى فخرا
لن نستكين لمغرور يحاربنا مهما تطاول إلحادا

ولقد دار الزمان على أهله، فبعد العز ذل، وبعد النصر هزيمة، وبعد العلم جهل، وبعد الهدى ضلال، فعز على الأديب الإسلامي أن يرى أمته على هذه الحالة المزرية، فعبر عن استيائه واشمئزازه، يقول الشاعر حسن الأمراني[2]:

---

(١) من قصيدة ـ مجمع القرود ـ أحمد محمد الصديق مجموعة شعراء الدعوة الإسـلامية ٦٠/١ ط مؤسسة الرسالة بيروت ط ١ سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(٢) من قصيدة ـ مجمع القرود ـ أحمد محمد الصديق مجموعة شعراء الدعوة الإسـلامية ٦٠/١.

(٣) وك د حسن الأمراني عام ١٩٤٩ في مدينة وجدة -المغرب حصل علـى دكتـوراة فـي الأدب العربي من جامعة محمد الخامس في الرباط، وهو أستاذ سـابق لـلأدب والنقـد ورئيس شعبة اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة محمد الأول- وجـدة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن الزمان قد استدار وعاد لم

يبرح أبو لهب ولا الطلقاء

وجراح أمتي الأسيرة جمّة

في كل منعطف دم ورثاءُ

ظمئ الورى وعلى العيون غشاوة

وعلاَ القُلوب جهالة وعماء[1]

ويصيح شاعر آخر هو مغيط الدوسري [2] ويصور حالة الأمة المزرية تصويرا رائعاً ومؤلماً، ومنددا بالخمول والخذلان، ومستنكراً على الأمة موت عزيمتها وشهامتها، وأطفال المسلمين في القدس يرزحون تحت ظلم الاحتلال الصهيوني، فيقول:

يا نيلُ طفل القدس يبكي حَسرة

-ورئيس تحرير مجلة" المشكاة " المهتمة بالأدب الإسلامي قديمه وحديثه، شارك في عدة مؤتمرات أدبية في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والسعودية وفرنسا وألمانيا وتركيا والهند، وله العديد من الدواوين الشعرية مثل: الحزن يزهر مرتين ١٩٧٤، البريد يصل غداً (بالاشتراك) ١٩٧٥، ومزامير ١٩٧٥- القصائد السبع ١٩٨٤- الزمان الجديد ١٩٨٨ -مملكة الرماد ١٩٨٨- ثلاثية الغيب والشهادة ١٩٨٩ .أشجان النيل الأزرق،جسر على نهر دربنا،إلى جانب عدد من الدواوين المخطوطة مثل: يا طائر الحرمين- قلوب على بركان -المجد للأطفال والحجارة .

(١) مجلة الوعي الإسلامي عدد ٥٣٠ نوفمبر ٢٠٠٩م.

(٢) شاعر سعودي معاصر، ولم أعثر له على ترجمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جهل الجميع حقيقة الزلات

ويقول والدمعات شقت دربها

في الخد تضرب أروع الأيات

ما بالُ أمتنا أضاعت عزمها

وشموخها في زحمة الندوات؟ (١)

ولا تُعرف قضية شغل بها الشعر الإسلامي الحديث - بل الشعر العربي كله - مثلما شغل بقضية فلسطين، ولا يكاد يوجد شاعر عربي أو مسلم - مهما كان اتجاهه - إلا ساهم بقدر من الكتابة في هذه القضية، ولكن الشعر الإسلامي كان سباقاً ومتميزاً، وقد وضع باستمرار هذه القضية في إطارها الصحيح، معيداً إليها روابطها الإسلامية التي حاول كثير من الغربيين والمستغربين أن يقتطعوها من الأمة الإسلامية مكاناً وإحساساً ومشاعر.

فمضى الشعر الإسلامي يذكر بقضية فلسطين، ومكانة القدس والمسجد الأقصى، وأنها قضية الأمة جميعها، فيقول يوسف العظم الذي لُقب بشاعر الأقصى لكثرة ما كتب عنه في ترنيمات وابتهالات تظهر حبه للأقصى:

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي عدد ٥٣٠ نوفمبر ٢٠٠٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يا قمر يا محراب يا منبر ... يا نور يا إيمان يا عنبر

قدام من .. ت رحاب الهدى ... وجه من فى ساحه أغبر؟

وبك من تَرْوح أرضى وقد ... حنا عليها ساعدي الأسمر؟

من نوت الصخرة تلك التى ... كانت بمسرى أحمد تفخر؟

وامطر القدس بأحقاده ... فاحترق اليابس والأخضر

....

يا قمر يا محراب يا مسجد ... يا درة الأكوان يا فرقد

سقوفك الخضر ربوع المنى ... وتُربُك الياقوت والعسجد

كم رئت فى أفقها آية ... وكم دعانا للهدى مرشد

قدام عيسى باركت أرضها ... وفى سماها سرى أحمد (١)

فتعدد النداءات، وذكر الأماكن بما لها من قدسية وجلال يوحي بالأسى والمرارة التي تملك بصدر الشاعر، فقد صور وحشية الأعداء، وما أقدموا عليه دون تمييز، ولكنه لم ينس مشيئة الله وقدرته على سحق البغي والعدوان.

---

(١) ديوان يوسف العظم "في رحاب الأقصى" ص ١١: ١٢ ط ١ ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر – بيروت ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وللشاعر السوري عدنان برازي[1] قصيدة أخذت عنوان " يا قدس كلنا سواء " نلمح فيها تفجع المكابر الصنديد، الذي لا يستسلم رغم البكـــاء، ولا يلين رغم تساؤلاته:

سأبكي ولكن بغير دموع

فقلبي يتوق ليوم الرجوع

دموعي ستغرق هذي البقاع

فتملأ بالشوق كل الربوع

ننام على الدمع، والدمع جمر

ونشرب.. ملء الكؤوس الضلوع

ونصحو على الآه.. والآه نار

تلظّي القلوب، تزيد الخنوع

---

(1) شاعر سوري معاصر حصل على شهادة ليسانس في الحقوق والعلوم الإدارية من جامعة عنابة في الجزائر وعلى دبلوم الدراسات القانونية العليا، وعلى شهادة الماجستير في " معاهدات السلام الدولية " من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، وحاليا يعد لرسالة دكتوراة في تطوير القانون الدولي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويأتي صوت عبد الرحمن العشماوي [1] هادرا معبرا في خطابه الديني عن تفاعله مع واقعه الذي انساب في أعماق نفسه حتى كشف الصورة المأساوية للأمة العربية والإسلامية من خلال تشكيل فني يؤكد قدرته الشعرية، وصدقه الفني والشعوري من جهة، ومن جهة أخرى يؤكد امتلاكه رؤية واقعية عصرية حين عبر عن ذلك على لسان الأقصى في قصيدته ' الأقصى يناديكم ' [2]، الذي يرى الأمة الإسلامية قد خار عزائمها، وباعت فوارسها، وانغمست في الطغيان، وينعى عليهم التخاذل عن نصرته وفك أسره فيقول:

يا ويحكم يا مسلمون، كأنما ... عقدتْ كرامتكم عن الإنجاب

وكأنَّ مأساتي تزيدُ خضوعكم ... ونكوص همتكم على الأعقاب

---

(١) الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي شاعر سعودي معاصر عرف بنزعته الإسلامية في شعره، ولد في قرية عراء في منطقة الباحة جنوب المملكة عام ١٩٥٦م، وتلقى دراسته الابتدائية هناك، وعندما أنهى دراسته الثانوية التحق بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتخرج منها عام ١٣٩٧هـ ثم حصل على الماجستير عام ١٤٠٣هـ ثم الدكتوراة من قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي عام ١٤٠٩هـ تدرج العشماوي في وظائف التدريس في جامعة الإمام محمد حتى أصبح أستاذا مساعدا للنقد الحديث، وعمل محاضرا في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي حتى نقاعد قبل سنوات، وللعشماوي العديد من الدواوين الشعرية التي تمثل اتجاهه الإسلامي منها: إلى أمتي، صراع مع النفس، بائعة الريحان، مأساة الذبيح، أبو حواء، من القدس إلى سراييفو.

(٢) نقلت نص القصيدة من الموقع الأكتروني للشاعر عبد الرحمن العشماوي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانَ ظُـلْمَ المعتدين يسركُـــم وكأنَّـكم تستحسنون عذابـــي

غيبتموني في ســراديب الأســى يا ويلَ قلـــبي من أشـــدّ غيابِ

عهدي بشذو بلابلي يسري إلـــى قلبي، فكيـف غدا نعيقَ غُرابِ ؟!

وهلال منذنتي يعانق ما عـــلا من أنجـــمِ وكواكبٍ وسحابِ

أفتأذنون لغاصبٍ متطـــاولٍ أنْ يدفـــن العلياء تحت ترابي؟!

ويستمر الشاعر في القصيدة نفسها في التعبير عن معاناته وصـراعه الشعري من أجل الوجود الحقيقي للأمة الإسلامية ومحلقا فـي فـضاءات روحه المعذبة الظامئة إلى مج الإسلام، فيترك قلبه يحلـق فـي تـصوير المآسي التي تمر بها الأمة الإسلامية، ويضع صورة مأساة أمـام عيـونهم للقتلى من الأطفال والشيوخ آملا في تحريك نفوس المسلمين واسـتنهاض همتهم، وآملا في تجاوز المحنة، وبعث الحاضر فيقول:

يا مسلمون، إلى متى يبقـــى لكم رَجعُ الصدى، وحُثالةُ الأكوابِ ؟!

يا مسلمون، أما لديـــــكم همّةٌ تجتـــــازُ بالإيمان كلَّ حجابِ ؟!

أنا ثالث البيتين هـــــل أدركتمـو أبعـــادَ سرّ تواصـل الأقطابِ؟!

إني رأيتُ عيونَ من ضحكـوا لكم وأنـــا الخبيرُ بها، عيونَ ذئابِ

هم صافحوكم والدماءُ خضابُـــهم وا حـــرَّ قلبي من أعزّ خضابِ

هذي دماءُ مناضلٍ، ومنـــافـحٍ عن عرضـــه، ومقاوم وثّابِ

ودماءُ شيخٍ كان يحمـــلُ مصحفاً يتـــلو خواتـــمَ سورةَ الأحزابِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ودماءُ طفلٍ كان يسـألُ أمّـهُ عن سـرّ قتل أبيه عندَ البابِ

إني لأخشى أن تروا في كفّ مَـنْ صافحتمـوه، سنابلَ الإغضابِ

هم قدّموا حطباً لموقد ناركـم وتظـاهروا بعداوة الحطّابِ

عجباً أيرعى للسلام عهـودَه مَنْ كـان معتاداً على الإرهابِ؟؟

وتتطور الأمور في قضية فلسطين، وتمضي كل يـوم – فـي ظـل الأوضاع العربية والإسلامية المتردية – من سيء إلى أسـوأ. ولا يكـف الشعر عن ملاحقة ذلك، وفضح الزيف والدجل والتنازلات، حتى إذا كانت الانتفاضة الباسلة الأولى، والانتفاضة الباسلة الثانية، في أرض الإسـراء والمعراج، وقف الشعر الإسلامي بجراءة ووعي يصور عظمة ذلك، ويشيد بالمجاهدين، وأطفال الحجارة الشجعان.

فهذا عبد الرحمن العشماوي يصور ذلك في قصائد رائعة، ففي قصيدته " شموخ في زمن الانكسار " يعبر عن مأساة هؤلاء الصغار المستـضعفين فيقول:

ووقفت حين رأيت طفلاً شامخاً قاماتنا من حوله تتقزمُ

طفل صغير غير أن شموخه أوحى إليّ بأنه لا يُهزم

طفل صغير والمدافع حوله مبهورة والغاصبون تبرموا

من أنت يا هذا ؟ ودحرج نظرة نحوي لها معنى وراح يتمتم

أنا من ربوع القدس طفل أنا مؤمن بمبادئي أنا مسلم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد سجل بعض الشعراء الكبار رصيداً ضخماً من الإبداع الفني عن قضية فلسطين، كمحمود مفلح، صاحب ديواني " مذكرات شهيد فلسطين " و " حكاية الشال الفلسطيني " وغيرهما، وأحمد محمد صديق صاحب ديوان " أناشيد للصحوة الإسلامية " وديوان " نداء الحق " وعدنان النحوي، وعبد الرحمن بارود، ومحمد التهامي، وغيرهم كثيرين.

وحين بدأ اليهود أعمال الحفريات منذ عام ١٩٦٧م حول المسجد وتحته، وتحت الحرم الشريف والمساجد والمدارس وبيوت السكان العرب هناك، على رغم استنكار العالمين الإسلامي والعربي، والمؤتمر العام لليونسكو.

يومئذ هب الشعراء وأعلنوا سخطهم على المجرمين، وناشدوا المسلمين والعرب أن يهبوا لإنقاذ المسجد الأقصى وكل فلسطين.

وفي هذه الأحداث الأليمة يثور الشاعر محيي الدين الحاج عيسى (١)، ويقول في قصيدة «حريق المسجد الأقصى» [البسيط التام]

أين الصريخ؟ وأين النار تندلع

---

(١) ولد محيي الدين الحاج عيسى في مدينة صفد عام ١٩٠٠م، ودرس المرحلة الابتدائية في مدرستها، والمرحلة الإعدادية في مدرسة عكا الإعدادية، والثانوية في سلطاني دمشق وبيروت، وهو أديب من روّاد الأدب والتربية في فلسطين، وشاعر وطني نظم أشعاره في قضايا أمته الوطنية وخاصة وطنه فلسطين، وحذّر فيها من وقوع المأساة قبل سنوات من وقوعها.. ولما وقعت كانت كلماته تحليلاً لما حلّ بفلسطين، وأشعاره متنفساً للكروب وسلوة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أم أين ذاك العويل المرُ يرتفع

في القدس؟ في المسجد الأقصى؟ فوا حزني

عليه، وهو بنار الحقد ينصدع

ماذا يريد عدوّ الله؟ قد عظمت

منه الجرائم واستشرى به الجشع

بالأمس قد سلب العذراء حليتها

مستهتراً ماله من وازع يزع

وداس من حرمات الله أقدسها

في القدس، وهو بطبع الشر مندفع

واليوم تستهدف الأقصى أذيتَه

يا غيرةَ الله تغشاه فلا تدع

الدين لله من يحرق معابده

يلق الجزاء وسخطاً ليس يندفع [1]

---

(١) من فلسطين وإليها لمحيي الدين الحاج عيسى ص ١١٩: ١٢٣ ط حلب سنة ١٩٧٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويبثّ الشاعر كمال عبد الرحيم رشيد[1] أسفه على حرق المسجد الأقصى بينما المسلمون نيام عن الجهاد، ويعجب كيف لا يغضبون لله غضبة مؤمن، وحق القول: إلى متى ينتظرون؟ وماذا يحرك عواطفهم وإحساسهم؟!، وكأني بالشاعر لا يجد غير صلاح الدين يناشده لينهض من قبره ويحرّر القدس، فيقول في قصيدة: " نداء إلى الأحياء " [الكامل التام]

يا ثالث الحرمين حرقُك نكبة

فيها يزيد الجرح والإيلام

إن يحرقوك فليس ذلك بدعة

في دينهم بل إنها الأحلام

حرب على الدين الحنيف وإنها

لطويلة ما طالت الأيام

أين الملايين الذين نعدهم

أو ليس فيهم فارس مقدام؟

---

(١) ولد الشاعر كمال رشيد في قرية الخيرية من أعمال مدينة يافا بفلسطين عام ١٩٤١م وهاجر منها عام ١٩٤٨م إلى نابلس، ثم درس اللغة العربية في جامعة دمشق، ونال شهادتها عام ١٩٦١م، ثم حصل على الماجستير في اللغة العربية من جامعة محمد الخامس بالمغرب، وعلى الدكتوراه باللغة العربية أيضا من الجامعة الأردنية، وله دواوين عديدة منها: شدو الغرباء، عيون في الظلام، أشواق في المحراب، القدس في العيون، نسائم الوطن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف الحقوق تضيع من أصحابها

إن كان فيهم مبدأ وحسام

قم يا صلاح الدين فالقدس التي

حررتها يزهو بها الحاخام

فلعلّ سفر المجد يفتح صفحة

فيطل يومٌ مشرق بسّام[1]

لم يعبر الخطاب الديني في الشعر المعاصر عن قضية فلسطين وحدها، وإنما عبر عن هموم الأمة الإسلامية في مختلف الأقطار الإسلامية التي انتهكت فيه حرمة الإسلام، فحضرت في الشعر الإسلامي الحديث " قضية البوسنة والهرسك " وكتب فيها شعر كثير، صور هذه المأساة الجلل التي عدت من كبريات مآسي المسلمين في هذا العصر.

وقد أصدرت رابطة الأدب الإسلامي العالمية ديواناً كاملاً ضم بعض ما قاله شعراء الرابطة في هذه الجريمة الكبرى التي ارتكبها الصرب في حق المسلمين.

يقول الشاعر حسن الأمراني من قصيدة له عنوانها " وا إسلاماه " ضمن مجموعة شعرية له اسمها " جسر على نهر درينا " مصورا وحشية

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث أحمد عبد اللطيف الجدع، حسني أدهم جرار ٣/١٠٧: ١٠٩ ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصرب وما ارتكبوه من مجازر في حق الأطفال والشيوخ والنساء من مسلمي " البوسنة والهرسك " العزل المستضعفين.

ولدي الحبيب

ماذا صنعت وأنت ما أدركت بعد

سن الفطام ؟

ماذا أتيت من الذنوب ؟

نبحوك بين يدي شقوا الجيب، واغتصبوا دمي

أبني ما صنع العتاة ؟

كانوا أضرّ من الذئاب الجائعات

أبني ما صنعت يداك ؟

ثم يأتي صوت الشاعر عبد الجواد طليل ليعبر عن واقع الأمة الإسلامية من حيث التردي فيقول على لسان سيدة من سراييفو مستنكرا واقع الأمة المرير وضعفها، وما آلت إليه من الفتن والحروب والأحقاد بعدما كانت بالأمس رائدة في الدنيا كلها شرقا وغربا:

ما الذي أحنث هذا النكب في أرض

السفين

وأحال الأمة العظمى إلى كف غريق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وضحية؟

ما الذي أشعل نيران القرون الجاهلية..؟

والحروب الطائفية.. ؟

وآثار الفرقة العمياء والحقد الدفين

والحميه

بعد آلاف السنين؟

بعد أن كانت لنا في الشرق والغرب جذور

راسخات وقويه

وعزى وتقىً ودين... أي دين

وكتاب أنقذ الإنسان من هول الخرافات

وزيف الترّهات الوثنيه

وأعاد البشرية

بعد أن كانت لها ألف هويه

للهدى والنور والحق المبين. (١)

---

(١) هذا هو القمر: شعر عبد الجواد طايل ص ٩٧، ٩٨ ط ١ الناشر الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – سنة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولقد وقف شعراؤنا الإسلاميون وقفة مشرقة في التعبير عن آلام الشعب الشيشاني المسلم وآماله عبر صور شعرية تحملُ الكثير من وهج الصدق، فنقرأ للشاعر الإسلامي أحمد محمد الصديق [1] قصيدة بعنوان: "الشيشان وقمم البطولة" يقول فيها:

(إلى الشيشان تتجهُ القلوب

وتحترق المنافذ والدروبْ

إلى الشيشان تنبعث الأماني

لها منْ وقْدِ محنتها شُبوبْ

إلى الشيشان.. والإسلام يعلو

وتندحرُ الزعازعُ والخطوبْ

إلى الشيشان والأبطال سدّ

منيعٌ والذرى طودٌ مهيبْ)[2]

---

(١) شاعر فلسطيني معاصر ولد عام ١٩٤١م، وتدرج في التعليم حتى حصل على الماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر، وعرف باتجاهه الإسلامي في شعره فعبر فيه عن دينه وأمته ووطنه، وله ديوان شعر كبير بعنوان " نداء إلى الحق " صدر عام ١٩٧٧م

راجع ترجمته في: شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ٥٣/١.

(٢) مجلة المجتمع عدد ١٤١٢ اغسطس عام ٢٠٠٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه القصيدة تبزغ من أفق إسلامي فسيح منذ البداية وهي تقتنص لحظات وجدها من القلوب الملتاعة الحزينة المترقبة لتصل إلى هناك حيث الرجال القابضين على البطولة والفداء، وهكذا " تمتزج القصيدة بعبق المكان وتحاوره عبر شموخ الهوية الإسلامية من خلال شبه الجملة "إلى الشيشان" التي جاء تكرارها لإثراء حالة المشاركة الفاعلة مع تلك البطولة المنيعة الصادقة العزيمة مهما تكالبت قوى الشرّ والإجرام الروسي، ومهما احتشدت أعاصير المنايا" [1]:

(هم "الروس" الجفاة وما نسينا

ففي الأفغان مازالت ندوبُ

فمهلاً يا أخا الإسلام مهلاً

فإنّ صباح دولتهم كئيبُ

إذا ما الدبّ عربد في غباءٍ

فإنّ الدبّ مصرعُه قريبُ

وقالوا نزهةً فإذا الليالي

تزمجر وهي ثائرة غضوبُ

وملحمة الجهاد لها دَويٌّ

---

(١) المرجع السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لساحات الوغى أبداً تهيبُ)[1]

هكذا يسطّر المجاهدون الأبطال في الشيشان ملاحم جهادية، حيث تزمجر الليالي كالأسود الثائرة في وجه الأعداء، وتدوّي ساحات الحرب بصيحات البطولة والثأر للشعب البريء المشرّد، ويمزج الشاعر بين الصور الحسيّة والمعنوية عبر استعارات تتعاضد نامية من وهج الحدث، ساخراً من غرور الأعداء الجبناء الذين ظنوا أنّ الحرب في الشيشان نزهة، فإذا بهم يهوون إلى قاع سحيق من الهزائم المتتالية أمام ثلّة مؤمنة من الأبطال.

ولم ينسَ أحمد محمد الصديق أن يدمغ هذا الصمت المطبق حيث يمارس الأعداء الروس إبادة جماعية منظمة للشعب الشيشانيّ المسلم، وكأن المسلمين في الأقطار الأخرى قد غُيّبوا فلا دخلَ لهم فيما يحدث:

(لقد هدموا القرى حتى توارت

وغيّبها عن الأفق المغيبُ

فماذا بعد يا دنيا أجيبي

إلامَ يطول ذا الصمتُ المريبُ؟

علامَ الطفلُ يُسْحَقُ وهو غضٌّ

وحقّي في ثرى وطني سليبُ؟

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٤١٢ أغسطس عام ٢٠٠٠م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد نهبوا بلادي واستباحوا

حماها وانثنى الغُصْن الرطيبْ

همُ الدخلاء فاعجبْ إذْ تراني

كأنّي في الدّيار أنا الغريبْ)

يلجأ شاعرنا في هذه القصيدة إلى العديد من الأسئلة الإنكارية النازفة التي " تزيدنا حرقة ولوعة، أمام صمت عالمنا الإسلامي حيث تُنْهَبُ البلاد، ويشرّد العباد، وتُستباح الحرماتُ، ويذبح الأطفال الرضع، والشيوخ الركّع، وحيث أضحى الأهل والأحباب غرباء في أوطانهم، ولعلّ شاعرنا الصديق من أقدر شعرائنا الإسلاميين استنهاضاً للهمم الجماعيّة عبر الاستفهامات الموجعة، والأساليب الإنشائية الزاخرة بالصور الشعريّة التي تنفذ إلى هموم المسلمين أينما حلّوا، ويمضي الشاعر في بث مشاعر إعجابه بتلك البطولة الشيشانية رغم ما في القلب من مواجع لمواقف المسلمين في تخاذلهم عن نصرة إخوانهم، فيصف هذه البطولة الفذّة بالتحدّي والشجاعة والصلابة والثبات والتقوى وصدق الإيمان والسموّ والمجد العريق والاعتصام بحبل الله، كما شبّه شذى عطر الشهادة في المجاهدين بشذى الزهور التي فاحت طيوبها، وهم تارة أعظم إقداماً من الأسود حتى لتغار الأسود من شجاعتهم، كما أضحى فجر النصر تاجاً زيّن هاماتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرفوعة، وحسبهم بعد ذلك أن يد الله معهم، وعين الله تحرسهم ." [1] فنجده يقول:

(أيا قمم البطولة والتحدّي

لقد فاحتْ من القمم الطيوبُ

كماتك لا يشقّ لهم غبارٌ

ولا يشكون بل يشكو اللّغوبُ

تغار الأُسْدُ منهم وهي أُسْدٌ

لهم في كلّ جارحة نُيوبُ

وما لانت لهم أبداً قناةٌ

ولا قرّت على ضيمٍ جُنوبُ

لهمْ في الله مُعتصمٌ وفيهم

أخو العلياء والندْبُ الأريبُ

وفي أعطافهم نفحاتُ مَجْـدٍ

عريقٌ زانه الشرفُ الحسيبُ

بِذْ الرحمن تمنحهم ثباتاً

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٤١٢ عام ٢٠٠٠..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي البأساء تمتحنُ الشعوبُ

وأنّ الفجر آتٍ في يديه

على هاماتكم تاجٌ قشيبُ

وليس سوى الجهاد لكم طريق

ومن يسلكه حقّاً لا يخيبُ)

وكذلك نجد صوت الشاعر الإسلامي محمد علي الطبلاوي[1] وهو شاعر عُرف بثراء نبضه وقوافيه وتحنانه الدائم إلى ربوع تاريخنا الأصيل، والاستضاءة بقبسات سلفنا الصالح، وقصيدته: "على أطلال جروزني" التي بين أيدينا تتقدّم إلينا عبر هذه النافذة، وهي تفجّر فينا شظايا الأسى من خلال قافية فانية فيها الكثير من لوعات الحزن والضجر، كما أن إيقاع البحر الكامل ورويّه يسكبُ في نفوسنا حنيناً آسراً إلى الماضي الذي بناهُ السلف الطيّب الزكيّ، وضيّعه الخلف، فنراه يخاطب جروزني:

(يا أختَ أندلسي أرى في جعبتي

سهماً يتيماً ما له أردافُ

منْ ذا يعيرُ القوم سيفاً صارماً

منْ لي بسعْدٍ قوسُه قذّافُ

---

(١) شاعر سعودي معاصر ولم أعثر له على ترجمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عفواً جروزني لن نمدّ لكم يداً

أيّــامنا رغم الرّخــاء عجافُ

لكنها حُبلى بأفكار الخَنــا

من مجلس الأمن الدعيّ نخافُ

فمصير أمّتنــا غداً في مجلسٍ

لا يحتويه العدل والإنصافُ)

فيشعل الشاعر الإسلاميّ محمد علي الطبلاوي نفوسنا بما فيهــا مــن لواعج مضنيةٍ، مازجاً بين الحاضر والماضي عبر مواءمة فنيّة بين الجمل الاسمية والفعلية، ليفضي بنا إلى مفارقات حسية ومعنوية بين أسى الحاضر وشموخ الماضي، وتألّقه بين تشتّت المكان ونزيفه، وحشد الزمان وســموّ راياته، ورغم خيوط الدمع التي تذرفها القصيدة في بعض مقاطعها، إلا أنها تنهض من كبرياء الإسلام وعظمته وجلاله لتعانق ذرا الشيــشان وجبالــه الشمّ وبطولات مجاهديه:

(مازلتُ أذكر رغم ما بي منْ عَنــا

جندَ الفتوحِ وما لها إيقافُ

والمسلم القوّام في طرقاتها

يدعو الأنام وقلبه شفّافُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للدين يسعى النّاس دون كراهة

ويهلّلون فيسجد الآلافْ

وتحوّلتْ تلك الديارْ مساجداً

فيها لكلّ موحدٍ أكنافْ) [1]

يأوي هذا الشعر إلى روى التقاول أخيراً ويجود بخصوبة الذاكرة الإسلامية، ولا غرو لخصوبتها ومعينها الذي لن ينضب، فهي ذاكرة التوحيد الوارفة بثمار دانية تبشّر بالنصر رغم الحرائق التي تحيط بنا متى تمسكنا بكلمة التوحيد قولاً وفعلاً، ومن هنا جاءت بشرى الشاعر الإسلاميّ محمد علي الطبلاوي لكوكبة المجاهدين الشيشان الصامدين، فننشد معه لنبض البطولة، لشممها وثباتها على الحق، لصمودها وزحفها، لكرّها وفرّها، لدحر الأعداء، ورفع رايات الإسلام خفّاقة تحكي أمجاد الأمة وعنفوانها:

(لي في ذرا الشيشان قلبٌ نابضٌ

وعلى الرمال البيض لي أوصافْ

وعلى لسان القوم لي أنشودة

وعلى الجبال الشمّ لي إيلافْ

---

(١) مجلة المجتمع عدد ١٤١٢ عام ٢٠٠٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رحم العقيدة ليس يعقم لحظة

فمعينه لا يعتريه جفافُ

كم جاد للدنيا بخير رجالها

هذا أبو بكر يُرى فَيُـــخـــافُ

وابن الوليد إذا تعالى سيفُه

خضعتْ رقاب القوم والأكتافُ

فالبحر في أعماقه تجد الحصى

وبه اللآلي البيض والأصدافُ

لا لنْ نلينَ فإن خبتْ راياتنا

يوماً سيسعى للذرا الأشرافُ

الزحفُ آتٍ ليس بي شك ولا

في القلب من تصديقه إجحاف

نادَى بشيرُ النصرِ في عرصاتها

دنتْ الثمارُ لنا وحانَ قِطافُ).

كما حضرت قضية الجهاد الأفغاني بقوة وزخم في الشعر الإســـلامي الحديث، وكان لشعراء كبار إسهام رائع متميز في الحديث عمـــا أصـــاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشعب الأفغاني المسلم من قتل وتشريد وتدمير على أيدي الشيوعيين الروس الغزاة.

يقول جابر قميحة من قصيدة عنوانها " أبطال الجهاد الأفغاني " وهي من ديوان له عنوانه " لجهاد الأفغان أغني "[1] متحدثاً عن ضروب البطولات التي أبداها هذا الشعب الضعيف في منازلة عدو قوي مدجج بأفتك الأسلحة:

يا أمة الأفغان نصرك وافخري ما كان لولا قوة الإيمان
تلك التي جعلت شيوخا قاربوا مائة من السنوات كالشبان
يتقدمون طلائعا وكتائبا لا يرهبون قذائف النيران
ويرطبون شفاههم وقلوبهم بالفتح والأنفال والرحمن
القوة العظمى بشعب مؤمن والنصر بالإيمان لا الطيران

وكما وقف الشعر مع جهاد شعب الشيشان، وصور وحشية الروس وجرائمهم، وبسالة هذا الشعب المسلم في الدفاع عن أرضه وعرضه، فهو يسجل اليوم حضوره المتميز في تصوير مأساة العراق بعد سقوط نظام الطغاة فيه، واحتلال الغزاة الأمريكان بلد الخلافة والعراقة.

وإذا كانت القضايا السياسية الكبرى التي مثلت مآسي الأمة في هذا العصر وانكساراتها وهزائمها قد سجلت رصيداً ضخماً في الشعر

---

(١) ديوان " لجهاد الأفغان أغني " للدكتور جابر قميحة ص ٣٣ ط مكتبة وهبة - القاهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإسلامي الحديث، فإن هذا لا يعني أن هذا الشعر قد انصرف عن الموضوعات الأخرى.

لقد أدرك الشعراء – ببصيرتهم الواعية – أن مأساة هذه الأمة لا تعود فقط إلى فساد السياسة والسياسيين، وليست أسباب تأخرها واندحارها متمثلة في الغزو الخارجي فحسب، بل إن مأساتها تتمثل في جوانب اجتماعية وفكرية وخلقية، تتمثل في خلل في العلاقات، وفساد في التصورات، وظلم يسود المجتمعات، ولعلها تعود جميعاً إلى ابتعاد الأمة عن دين الله، مصدر العزة والكرامة، وعدم أخذها – كما يأمر هذا الدين – بأسباب القوة والحضارة والتقدم.

لقد أدرك الشعراء ذلك جيداً، فمضى شعرهم يتحدث عن هذه القضايا جميعها، وعن موضوعات أخرى كثيرة لا يمكن لوريقات معدودة أن ترصدها، بل إنها تحتاج إلى فصول طويلة لترصد مضامين الشعر الإسلامي المعاصر وتمثل له.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

بعد هذه السياحة في عوالم الخطاب الديني في الشعر الإسلامي المعاصر، أحمد الله تعالى على ما أنعم وأعطى ووفق، وأسأله التوفيق في استكمال هذه الساحة في الشعر الإسلامي المعاصر، فما يزال المجال بكرا يحتاج إلى كثير من الجهد الموصول لترسيخ الأدب الإسلامي خاصة في ظل التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي من الحداثة والعلمانية، وغيرها من المؤامرات التي تحاك للإسلام والمسلمين.

وإن كانت هذه الدراسة قد تناولت الخطاب الديني في بعض المضامين التي تقوم عليها القصيدة الإسلامية المعاصرة، فهناك مضامين كثيرة تحتاج لمزيد كمن البحث كالمضامين الاجتماعية والإنسانية وغيرها مما قد تتوفر لها بعض الأقلام لدراستها، ودراسة الشكل الفني للقصيدة الإسلامية المعاصرة، وكلها موضوعات يمكن أن يستقل كل منها ببحث علمي له منهجه ومقوماته ونتائجه.

والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراجع والمصادر

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الدواوين الشعرية:

(١) ديوان أعاصير وأنسام للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

(٢) ديوان الأعمال الشعرية الكاملة - المجلد الثاني - للشاعر محمد التهامي.

(٣) ديوان الأعمال الشعرية الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ط دار سعاد الصباح.

(٤) ديوان " السفر في أنهار الظمأ " لمحمد أبو دومة ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٩م.

(٥) ديوان الشوقيات لأحمد شوقي ط دار العودة بيروت.

(٦) ديوان الظل والحرور عبد الله عيسى السلامة ط المكتبة العربية حلب ١٩٧٥م.

(٧) ديوان عبد الحليم المصري ط الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٨) ديوان عودة الغائب لمحمد الحسناوي ط دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٩٨٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٩) ديوان " في رحاب الأقصى" يوسف العظم ط ١ ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ــ بيروت ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠ م.

(١٠) ديوان " لجهاد الأفغان أغني " للدكتور جابر قميحة ط مكتبة وهبة – القاهرة.

(١١) ديوان مدائن الفجر د/ صابر عبد الدايم إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالميةسنة ١٩٩٤.

(١٢) ديوان المسافر في سنبلات الزمن د/ صابر عبد الدايم عام ١٩٨٢ مطبعة الأمانة القاهرة.

(١٣) ديوان من فلسطين وإليها لمحيي الدين الحاج عيسى ط حلب سنة ١٩٧٤.

(١٤) ديوان هذا هو القمر عبد الجواد طايل ط ١ الناشر الدار المصرية اللبنانية ــ القاهرة ــ سنة ١٤٢٠ هـ ــ ١٩٩٩م.

(١٥) ديوان ورقات من الزيتون لصالح آدم ط مطبعة مخيمر بالقاهرة سنة ١٩٦٢م.

(١٦) ديوان يا إلهي للشاعر محمد التهامي ط مطابع دار البشير عمان ١٩٩٤م.

ثالثا: أهم المراجع:

(١) الأدب الإسلامي أصوله وسماته د/ محمد حسن بريغش، ط دار البشير عمان ط١ ١٩٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢) الأدب الصوفي الإسلامي اتجاهاته وخصائصه د/ صابر عبد الدايم ط٣سنة ٢٠٠٤ بدون طبعة.

(٣) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية د/ مصطفى الشكعة كتاب الشعر دار الكتاب اللبناني ط١ ١٩٧٣.

(٤) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي الحديث د/ علي عشري زايد ط مكتبة غريب القاهرة.

(٥) أنوار شعرية في المسيرة المحمدية لمحمد التهامي سلسلة دراسات إسلامية ــ عدد ١٥٧ ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ مصر ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م.

(٦) تجديد الخطاب الديني رؤى إعلامية مجموعة من الكتاب ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سلسلة قضايا إسلامية العدد ١٦٤.

(٧) تطور القصيدة الغنائية د/ حسن الكبير ط دار الفكر العربي.

(٨) الخطاب الإسلامي في الشعر العربي المعاصر قراءة نقدية في المصطلح والنص د/ على عبد الوهاب مطاوع ص٧ ط مطبعة مؤمن سنة ٢٠٠٨م.

(٩) دراسات في الشعر الإسلامي المعاصر د/ ياسر صفوت حشيش ط زرقاء اليمامة بالفيوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٠) شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث أحمد عبد اللطيف الجدع، حسني أدهم جرار مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١١) صوت الإسلام في الشعر العربي المعاصر د/ القطب يوسف زيد ط أولى بدون طبعة.

(١٢) فلسفة الأدب والفن كمال عيد ط الدار المصرية العربية طرابلس الغرب ١٩٧٨.

(١٣) قضايا وآراء حول الأدب الإسلامي د/ مهجة محمد كامل درويش بدون طبعة.

(١٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي ط مؤسسة الرسالة بعناية د/ عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت ١٩٩٢م.

(١٥) لسان العرب لابن منظور ٢/ ٨٥٦ ط دار الجيل، دار لسان العرب. بيروت ١٩٨٨م.

(١٦) مستقبل الأدب الإسلامي د/ حامد طاهر ط نهضة مصر.

(١٧) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي د/ عبد الباسط بدر ط دار المنارة جدة ط ١ ١٩٨٦.

(١٨) معجم ألفاظ القرآن مجلد ٢ ط مجمع اللغة العربية، والهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. القاهرة ١٩٦٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٩) وحدة الثقافة والتاريخ في الشعر الحديث د/ أحمد الحوفي ط معهد الدراسات العربية العليا.

رابعا الدوريات:

(١) مجلة "الآداب" عدد نوفمبر ١٩٧٢م.

(٢) مجلة الأدب الإسلامي السنة ٢، العدد ٦، شوال ١٤١٥هـ.

(٣) مجلة الأمة. العدد ٦٢ صفر ١٤٠٦هـ.

(٤) مجلة التراث العربي العدد ٨٨ السنة ٢٢، ديسمبر ٢٠٠٢، شوال ١٤٢٣.

(٥) مجلة الشبان المسلمين يونيو ١٩٦٤ م.

(٦) مجلة "الفيصل" في العدد ٢٣ بتاريخ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ/ أبريل ١٩٧٩ ص١٠٤، ١٠٥.

(٧) مجلة المجتمع عدد ١٤١٢ أغسطس عام ٢٠٠٠م.

(٨) مجلة نور الإسلام العدد السادس سنة ١٩٨٥م.

(٩) مجلة الوعي الإسلامي عدد ٥٣٠ نوفمبر ٢٠٠٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner